

# صوت الأمة

مَجَلَّة شَهْرِيَّة اِسْلَامِيَّة اَدَبِيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٩)	رمضان ١٤٣٨ هـ
العدد السادس	يونيو ٢٠١٧ م

رئيس التحرير

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

المشرف العام

عبد الله سعود بن عبد الوحيد

☆ عنوان المراسلة:	صوت الأمة: بي ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ ترسل شيكات الاشتراك بهذا الاسم:	دار التأليف والترجمة Name: <b>DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA</b> Bank: <b>ALLAHABADBANK, Kamachha, VARANASI</b> A/c No.: <b>21044906358</b> IFSC Code: <b>ALLA0210547</b>
☆ الاشتراك السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

موقع المجلة على الانترنت: [www.sautulummah.org](http://www.sautulummah.org)

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

## محتويات العدد

<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>
	الافتتاحية:
	١ - شهر اللغة العربية في الهند
٣	أسعد أعظمي بن محمد أنصاري
	الشهر المبارك:
	٢ - رمضان فرصة للتربية والتعليم
٨	فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد
	٣ - رمضان شهر الأخلاق والفضائل
١٦	أ. د. عادل بن علي الشدي / أ. د. أحمد بن عثمان المزيد
	أعلام وأعمال:
	٤ - العلامة ابن التركماني رحمه الله .....
٢٤	فاروق عبد الله بن محمد أشرف الحق
	مآثر خالدة:
	٥ - إسهامات علماء المسلمين في التقدم العلمي .....
٣٥	عزيز أحمد عبد الرشيد
	بحوث ودراسات
	٦ - دراسة موضوعية حول علم الاستغراب
٤٥	سراج الدين أين
	الأدب العربي:
	٧ - الجانب الأدبي في التوقيعات العربية
٥١	رفيع أحمد
	من أخبار الجامعة:
٦٠	٨ - الاختبارات السنوية بالجامعة السلفية

## شهر اللغة العربية في الهند

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

كانت أرض الهند - ولا زالت بحمد الله - خصبة للعلم والمعرفة والإنتاج والابتكار، فقد ازدهرت فيها شتى العلوم والفنون، منها العلوم الدينية واللغوية والأدبية، ومنها العلوم الطبيعية والتجريبية. وإسهامات المسلمين في هذا المجال لا تقل - كما ولا كيفاً - عن غيرهم من المواطنين.

فقد نالت العلوم الإسلامية والمعارف الأدبية نصيباً وافراً من جهود علماء الهند وعباقرتها، وازدهرت وتطورت برعايتهم وعنايتهم، واستقطبت أنظار علماء العالم الإسلامي والعربي، الذين أعجبوا بخدماتهم فاعترفوا بمعطيائهم، وأشادوا بمآثرهم، وأصبحت هذه الخدمات تراثاً مشتركاً يستفيد منه أبناء الإسلام على اختلاف أصقاعهم وأوطانهم ولله الحمد.

والمسلمون في الهند لم يزالوا على صلة بإخوانهم المسلمين في البلدان الأخرى، وخاصة أهل العلم والدين منهم، توطدت علاقاتهم بنظرائهم وقرنائهم في الخارج، وانفتحت بذلك سبل الإفادة والاستفادة والأخذ والعطاء بينهم. وبعد تقدم التكنولوجيا وتطور وسائل المواصلات ووسائل الإعلام تقاربت هذه المسافة بل تكاد تتلاشى بفضل التطور المذهل والتقدم السريع لهذه الوسائل.

والمملكة العربية السعودية منذ ظهورها على خارطة العالم تعنى بمسلمي الهند عامة وبعلمائها ومثقفها خاصة. ومظاهر هذه العناية والاهتمام أكثر وأشهر من أن يحيط بها مقال أو كتاب. وما عقد "شهر اللغة العربية في الهند" من قبل مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية إلا مظهر جلي من هذه المظاهر وحلقة من حلقات تلك السلسلة.

أما هذا المركز فقد أنشئ بأمر ملكي كريم من الملك الراحل لمملكة التوحيد عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - بتاريخ ٢٣/٧/١٤٢٩ هـ. وذلك لخدمة عدد من الأهداف الطموحة للمحافظة على هذه اللغة ودعمها ونشرها وتكريم علمائها. وقد جاء في الكتيب التعريفي الصادر بمناسبة انعقاد شهر اللغة العربية في الهند التعريف بالبرنامج بما يلي:

”إن برنامج شهر اللغة العربية من البرامج التي يعمل مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على إنجازها خارج الوطن العربي، وتتضمن تنفيذ فعاليات متعددة كالمحاضرات والندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية واللقاءات التدريبية والمعارض المتخصصة في اللغة العربية والمسابقات وغيرها في إحدى الدول، على أن يقام هذا البرنامج دورياً بالتعاون مع أقسام اللغة العربية في الجامعات العالمية ومراكز تعليم اللغة العربية بتلك الدول..“

وذكر في الكتيب من أسباب وبواعث عقد برنامج شهر اللغة العربية في الهند:

١- ما تمثله الهند من بعد تاريخي وحضاري في الثقافة الإسلامية بعامة، وخدمة اللغة العربية بخاصة.

٢- استجابة المركز لعدد من الخطابات والطلبات من جهات متعددة في الهند، حكومية وأهلية، للمشاركة في تنفيذ برامج وعقد اتفاقيات.

٣- قرارات مجلس الأمناء في عدد من الاجتماعات التي أكدت (الاهتمام بدعم الجهات المعنية باللغة العربية) و (الحرص على دعم المؤسسات غير العربية بالمناهج والمقررات) و (الدعوة إلى استمرار العمل في برنامج شهر اللغة العربية)

٤- ما أسفرت عنه اجتماعات عدد من علماء الهند، ومنهم وفد الهند المشارك في فعاليات (سوق عكاظ) في دورته الثامنة لعام ١٤٣٥ هـ، مع سعادة الأمين العام للمركز ومع مستشاري المركز من تلمس لواقع خدمة اللغة العربية في الهند، وتعرف على الاحتياجات، وتحديد لعدد من الرؤى والأفكار والمبادرات المناسبة لدعم اللغة العربية وأنشطة تعليمها وتعلمها ونشرها في الهند.

- ٥- تعد الجمهورية الهندية من المراكز الرئيسية للثقافة الإسلامية في العالم.
- ٦- الإقبال المتزايد على الاهتمام بتعليم العربية وتعلمها في الهند. انتهى وقد نفذ المركز هذا البرنامج بالهند بالتعاون مع الملحقة الثقافية السعودية في نيودلهي، والجامعة المليية الإسلامية، واتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند. ومعظم فعاليات البرنامج نفذت في حرم الجامعة المليية الإسلامية بنيودلهي. وقد شهد الأسبوع الختامي للبرنامج في الفترة: ١٦ - ٢٢ / أبريل ٢٠١٧م أنشطة مكثفة وفعاليات متنوعة. وفيما يلي قائمة هذه الفعاليات:
- ١٦ - ١٧ / أبريل ٢٠١٧م المؤتمر الدولي بعنوان: "اللغة العربية في الهند: الماضي والحاضر والمستقبل".
- ١٨ / أبريل ٢٠١٧م ورشة عمل: "مشاكل وطرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها".
- ١٩ / أبريل ٢٠١٧م دورة تدريبية: "مهارات البحث العلمي وتحقيق التراث في المجال اللغوي".
- ٢٠ / أبريل ٢٠١٧م ندوة: "جهود المملكة العربية السعودية والمركز في خدمة اللغة العربية" وحفل تدشين إصدارات المركز.
- ٢١ / أبريل ٢٠١٧م نهائيات مسابقة الخطابة العربية.
- ٢٢ / أبريل ٢٠١٧م حفل اختتام فعاليات برنامج شهر اللغة العربية.
- وضمن هذا البرنامج تم عقد معرض عربي باسم معرض التراث العربي في الهند في مكتبة ذاكر حسين بالجامعة المليية، تم افتتاح هذا المعرض صباح يوم الاثنين: ١٧/٤/٢٠١٧م واستمر إلى آخر يوم البرنامج. وفي المؤتمر العالمي المذكور شارك نحو (٦٠) باحثاً بأوراق عملهم من مختلف ولايات الهند. وشارك عدد كبير من طلبة الجامعات والمدارس العربية من مختلف مناطق الهند في المسابقة الخطابية باللغة العربية، وتم اختيار ٢٠ طالباً من بين ٨٠ مشاركاً، قام المركز بتكريمهم بالجوائز والدروع والنقود في الحفل الختامي. وكان بداية "برنامج شهر اللغة العربية في الهند"

دورة تدريبية في جامعة كاليكوت بكيرالا، ثم دورة تدريبية أخرى نفذت في الجامعة العالية بكولكاتا، ودورة تدريبية ثالثة بجامعة دلهي.

وقد شارك في هذا البرنامج وفد موقر من المملكة العربية السعودية بقيادة الدكتور عبد الله بن صالح الوشمي، الأمين العام لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، والمشرف العام على البرنامج، والأستاذ عبد الرحمن الحميقاني، والأستاذ متعب السهلي من المركز، والدكتور محمد البشري من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والدكتور محمود المحمود من جامعة الملك سعود، والدكتور مطير المالكي من جامعة الملك عبد العزيز، والأستاذ الدكتور محمد المبارك من الجامعة الإسلامية، والدكتور سعيد بن عثمان الملا من فرع جامعة الإمام بالأحساء، والدكتور عبد الرحمن المحسني من جامعة الملك خالد، والدكتور عبدالرحمن المهوس من جامعة الدمام، والدكتور محمد راضي الشريف من جامعة الحدود الشمالية. كما شارك في عدد من هذه الفعاليات سفير خادم الحرمين الشريفين لدى جمهورية الهند الأستاذ سعود بن محمد الساطي، وسعادة الملحق الثقافي السعودي الدكتور عبد الله صالح الشتوي، وعدد من مندوبي السفارة السعودية والملحقية الثقافية السعودية، ومدير الجامعة المليية الإسلامية الأستاذ الدكتور طلعت أحمد. ومن اللجنة المنظمة للبرنامج الأستاذ الدكتور محمد أيوب الندوي، رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية، والأستاذ الدكتور حبيب الله خان من القسم نفسه، والأستاذ الدكتور محمد نعمان خان، رئيس اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند، ونخبة من أساتذة قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية.

تمثيل الجامعة السلفية في البرنامج:

تلقى كاتب هذه السطور دعوة كريمة من منظمي البرنامج بالجامعة المليية للمشاركة في المؤتمر الدولي الذي تم عقده ضمن فعاليات البرنامج في يومي الأحد والاثنين: ١٦ - ١٧ / أبريل ٢٠١٧م بعنوان:

”اللغة العربية في الهند: الماضي والحاضر والمستقبل“

فقام هذا الكاتب - تلبية على هذه الدعوة - بالمشاركة في المؤتمر المذكور بورقة عمل عنوانها:

”طريقة تدريس اللغة العربية في معاهد الهند: وقفات للتأمل“

كما شارك عدد (٥) من طلاب الجامعة السلفية في مسابقة الخطابة باللغة العربية، والتي أقامها المركز ضمن هذا البرنامج. وقد تم اختيار (٢) منهم ضمن الأوائل العشرين الفائزين الذين تم تكريمهم بالجوائز والنقود والدروع في الحفل الختامي للبرنامج في نيو دلهي.

كلمة أخيرة:

نقدم الشكر والامتنان إلى السادة المسؤولين في مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية على تكريمهم باختيار جمهورية الهند لعقد هذا البرنامج الهادف. فهذه الدولة يقطنها أكثر من مائتي مليون مسلم، ولهم آلاف المدارس والجامعات الأهلية، وهناك عشرات الكليات الحكومية وأقسام اللغة العربية في الجامعات الحكومية، كلها تهتم بنشر اللغة والآداب العربية، وتبذل ما في وسعها للنهوض بهذه اللغة إلى المستوى اللائق. ولا شك أنها تواجه عقبات وصعوبات في المضي قدما لتحقيق الغايات المنشودة والأهداف المرجوة. فعقد مثل هذه البرامج والفعاليات من قبل الناطقين بالضاد والذين لهم معارف وخبرات بحكم اختصاصهم وعملهم سيذلل - بإذن الله - الصعاب، ويساهم في نشر هذه اللغة على أوسع نطاق.

والمطلوب من الأساتذة والباحثين والطلاب، والمنظمين كذلك، اغتنام هذه الفرص واستثمار هذه الجهود لشحن الهمم للرفي بهذه اللغة وتحسين مستوى تعليمها وتعلمها، وإزالة الحواجز والعقبات عن طريقها، والاستفادة من الوسائل والطرق الحديثة لتعليم اللغات، التي نسبة النجاح فيها أكبر من الطرق القديمة، والتي تسير التقدم وتتناسب متطلبات العصر. والله ولي التوفيق.



## رمضان فرصة للتربية والتعليم

فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

إن من خصال العاقل أن يتعرض لتفضل الله على عباده بأنواع الأعطيات في الأزمنة والأمكنة الفاضلة، ومن ذلك تعرضه لما يكون من فضل الله وجوده في شهر رمضان شهر القرآن والغفران.

فهذا الشهر الكريم موسم لتربية النفس على الطاعات والبعد عن المنكرات، وتعلم أحكام الشرع الحنيف، وهو فرصة أعظم للدعاة لتربية الناس وتعليمهم أمر دينهم. ولذلك فهم يتحينون أمثال تلك الفرص للقيام بأمر الله، والعمل بالحسنى على دعوة الناس للحق.

إن شهر رمضان فرصة للتربية على المنهج الصحيح في تلقي العلم والفتوى، فينتهز طالب العلم هذا الشهر الكريم في تعليم الناس الأحكام الشرعية، وإرساء المنهج السليم في تلقي تلك الأحكام، فمن ذلك مثلا: الحرص على الدليل، وأن يكون الدليل صحيحا.

ثم سؤال أهل العلم الثقات عما يجهل من الأحكام، وعدم تتبع زلات العلماء ورخصهم، وما أحوج الناس إلى معرفة تلك القضايا المنهجية التي يعول عليها المرء أول ما يعول في أمر دينه.

وكذلك ففي رمضان فرصة لتربية الناس على التسليم لأمر الله الشرعي، وأنه لا نقاش ولا اعتراض على نصوص الشرع، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} (النساء: ٦٥)، ولقد جاء عمر رضي الله عنه إلى الحجر الأسود فقبله ثم



قال: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك" (متفق عليه).

قال ابن حجر في فتح الباري: "في قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه".

فلا بد أن يتعلم الناس من رمضان ويعلموا احترام النصوص الشرعية، وعدم الاعتراض عليها، وعدم تقديم العقل على النص كما يفعل الجاهلون في هذا الزمان. ولا بد من استثمار فرصة هذا الشهر الكريم لتربية النفس على الإخلاص. لأن الصيام عبادة خفية ليس فيها عمل يشاهد كما في سائر العبادات والطاعات، ولا شك أن ملاحظة هذا المعنى يساعد في تنمية الإخلاص في النفس.

ولذلك فإن هذا الصيام يمكن أن يكون فرصة لتقوية الوازع الداخلي، والذي هو واعظ الله في قلب كل مسلم، فيأتي الصيام ليذكر العبد بأهمية هذا الواعظ ويقويه وينميه.

كما أن الصيام فرصة سانحة في تربية الإرادة وتقويتها، فالعبد يقهر عدوه ويروض نفسه ويصبر على الجوع والعطش، وفي هذا ترويض للنفس على ترك مألوفاتها. وكذلك من الأمور المهمة التي يستفاد فيها من رمضان تعليم الناس قضية يسر الشريعة. وهذه المسألة في غاية الأهمية، وذلك لأنه استقر في أذهان كثير من الناس أن في الدين صعوبات وتشديدات، وهي فكرة يروج لها أعداء الدين في مقالاتهم وفي كتبهم، بزعمهم أن الدين قيود وأصار وأغلال، فلا بد من استثمار فرصة رمضان وأحكامه ورخصه المتعددة، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث بالحنيفية السمحة، والله عز وجل يقول: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج: ٧٨).

أي: لم يكلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا. ويسره لكم غاية التيسير، وسهله غاية السهولة، وما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا ينفرها، ثم إذا عرضت بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط بعضه.

وهناك الكثير من الأمثلة التي ذكرها العلماء في أحكام الصيام تدل على يسر الشريعة. فينبغي استثمار الفرصة لتعليم الناس أن هذا الدين يسر. ولكن في الوقت نفسه لا يجوز التلاعب بأحكام الشريعة. فبعض الناس تصل بهم قضية اليسر إلى أن يخرج بالشريعة عن معناها وحدودها، فيحتال على أحكام الشرع، وهذا من صور الاستهزاء، ومن طريقة بني إسرائيل الذين أحلوا ما حرم الله بأدنى لحيل.

وكما أن الشريعة تحارب التلاعب فهي أيضا تحارب الغلو، ومن أمثلة ذلك أنه لا يجوز صيام يوم العيد، ويُنهى عن الوصال، أن يصل يوما بيوم في رمضان دون إفطار لأنه من الغلو.

وكذلك فرمضان فرصة سانحة لتعليم الناس عظمة هذه الشريعة. ومن عظمتها استيعابها لجميع المستجدات في أحكام الصيام، كفسيل الكلى والبنج وموانع الدورة الشهرية وحشو عصب السن ومعجون الأسنان والسفر بالطائرة والتطعيمات ونقل الدم ودواء الربو والمغذيات ونحو ذلك كلها تجد لها جوابا في الشريعة بالنص أو بالقياس، علمه من علمه وجهله من جهله، وهذا يدل على سعة هذه الشريعة وعظمتها وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

ومن أهم الأمور التي نستفيد منها من شهر رمضان تميزنا بعقيدتنا وشريعتنا عن غيرها، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} (البقرة: ١٨٣)، فبدل أهل الكتاب وغيروا وحرفوا ما أمرهم الله به. وفرض الصيام أول ما فرض على النصارى في الصيف، فشق ذلك عليهم، فنقلوه إلى الربيع وزادوا عشرة أيام بزعمهم كفارة للتغيير. ثم بعد ذلك صارت لهم أزمة اقتصادية في قضية اللحم والجبن والبيض والمشتقات الحيوانية، فأمر أحد ملوكهم بأن يصام عن هذه المشتقات، وصار هذا المرسوم هو الصيام عندهم، وعصم الله هذه الأمة من التغيير والتبديل في أحكام دينها.

ورمضان بعباداته المتنوعة فرصة لترغيب الناس في المستحبات وتعليمهم أحكامها. ومن ذلك:

التبئيه على فضل صلاة التراويح، وشرف قيام الليل، وما يتبع ذلك من الخشوع. وكذا التبئيه على الإكثار من قراءة القرآن، وتعلم أحكام التلاوة وآدابها، فإن رمضان شهر القرآن، يقبل الناس فيه عليه.

وكذلك الكلام عن أحكام الزكاة، لأن كثيرا من الناس قد اعتاد إخراج زكاة ماله في رمضان.

وكذلك الكلام على أحكام الاعتكاف، وآداب المساجد، وحسن الصحبة. وكذلك بيان أحكام العمرة، لحرص الناس على القيام بها في رمضان لفضلها فإن عمرة في رمضان تعدل حجة، فتحث الناس عليها، ونبين لهم ما يهمهم من أحكامها.

وكذا فرمضان زمان مبارك يحسن فيه التمرس على أداء أنواع من العبادات فيها نفع للمسلمين، وذلك مثل تفطير الصائمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا" (رواه الترمذي وصححه).

وما أحسن أن توضع موائد الإفطار للفقراء والمساكين ويجلس أهل الحي معهم لتناول الإفطار.

وإعداد المساجد وتنظيفها وتطيبها وتهيئتها للصيام والقيام وما تحتاج إليه من إنارة وتكييف وتهوية ونحو ذلك مما ينبغي الالتفات إليه، وكذا المزيد من التوجيهات والمعنويات التي يقوم بها إمام المسجد للناس لتحفيزهم على العبادة.

ومما ينبغي التبئيه عليه أيضا: بيان مفاصد إطالة السهر في ما لا يفيد، فإن كثيرا من الناس في رمضان يسهرون على القنوات وفي المنتزهات والباحات وعلى الأرصفة وفي الأسواق، يضيعون الزمان.

وكذا التحذير من خطورة الإكثار من الطعام والإسراف فيه، وبيان أن المهتم بأمر دينه لا يكون من المسرفين.

وكذلك التحذير من تحول هذه العبادة العظيمة إلى عادة، فإن بعض الناس تتحول عندهم بعض العبادات إلى عادات، وبالتالي تتفرغ من مضمونها ولا يكون لها تأثير.

وكذلك مما لا بد من تذكير الناس به في رمضان ألا يمنعمهم الحياء من التفقه في الدين.

فقد تجد الفتاة الصغيرة وقد حاضت، فيمنعها الحياء والخجل بزعمها أن تخبر بأمرها، ويكون نتيجة ذلك ألا تصوم رمضان وقد أصبح واجبا عليها! وأخرى تحيض أثناء رمضان فلا تخبر أهلها بذلك خجلا، وتبقى على صيام أيام الدورة ولا تقضي.

وكذلك فإن الشهر الكريم فرصة لتببيه الناس على بعض الأحاديث الضعيفة. ولا شك أن انتشار الأحاديث الضعيفة له آثار سلبية كثيرة، وهو نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يثبت أنه قاله.

فمن تلك الأحاديث حديث: "توم الصائم عبادة"، وحديث: "صوموا تصحوا"، وحديث: "من أفطر يوما من رمضان من غير عذر لم يجزه صيام الدهر كله ولو صامه"، وحديث: "شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلى الله إلا بركة الفطر"، فهذه الأحاديث وغيرها مما لم يصح وقد انتشر بين الناس، فينبغي التبنيه على عدم صحته، والتحذير من رواية الأحاديث قبل التثبت من صحتها.

وكذلك تعليم الناس الاهتمام بالسنة من الفرص التي تنتهز في رمضان فقضية الالتزام بالسنة قضية منهجية مهمة، فالسنن تكمل الفرائض وترفع قدر العبد وتعين على التقوى وحفظ النفس.

إن من أسباب ضعف تأثير رمضان في نفوس الناس القصور أحيانا في تهيئتهم لهذا الموسم العظيم، فتجد تقصيرا من بعض الخطباء وطلبة العلم في ذلك، وقد جعل الله

تعالى الصيام إمانة للدعاة، فإن الشياطين تصفد فيه، وفيه تتكسر النفوس، ويزول عنها كثير من الأشر والبطر والغفلة والحدة التي تمنع من الاستجابة لداعي الله.

ومما يزيد من تأثير رمضان في نفوس الناس:

التذكير بفضائل رمضان، ومن ذلك:

- "ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".
  - "إن في الجنة بابا يقال له (الريان) يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم".
  - "خلاف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك".
  - "وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه".
- بيان أنه وسيلة للتقوى، وأن النفس إذا امتنعت عن الحلال طمعا في مرضاة الله تعالى وخوفا من عقابه، فامتاعها عن الحرام أولى.
- التذكير بفوائد الصيام، والتي منها أن الإنسان إذا جاع بطنه انقمعت شهوته، وأنه إذا صام علم حال الفقراء في جوعهم فيرحمهم ويعطيهم، وليس الخبر كالمعاينة. وفي هذا إشاعة خلق الموساة والإيثار.
- وتأديب الناس بالأداب الشرعية مما ينتهز له هذا الشهر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم" (متفق عليه).
- فلا بد أن يكون هناك مع الصيام امتناع عن الكذب والنميمة والغيبة والغش، وبالتالي كل المحرمات، وخاصة التي تنتشر في ليالي رمضان كمتابعة القنوات المفسدة وسماع آلات اللهو والغناء وغير ذلك.
- ومما تكثر الحاجة لبيانه في رمضان موضوع التوبة، والتعرض لرحمة الله وجوده في شهر الكرم والجود وتنزل الرحمات، إذ يقبل العبد على ربه، ويحسن الظن به، ويحب ما يحب ويكره ما يكره، رجاء أن يغفر له، فقد خاب وخسر من أدرك رمضان ولم يغفر له.

وأيضاً فرمضان فرصة لإيصال الموعظة للمرأة، والتي قد لا تصلها إلا في رمضان، كيف تشعر المرأة بأنها شقيقة الرجل، وأنه يجب عليها التفقه في أمر دينها، ومعرفة أحكام الشريعة التي تخصها، كأحكام الحيض والنفاس، وخاصة في رمضان، وبطبيعة الحال فلا بد من تذكيرها وتعريفها بالأداب الشرعية التي تخصها عند الخروج للصلاة أو للتسوق وغير ذلك من ترك التعطر والتبخر، وأن لا تذهب مع السائق في خلوة، أو ترتدي ملابس زينة، وكذلك تنبه إلى قضية عدم تضييع الوقت في إعداد المأكولات، والتفنن في الأطباق والصحون، فإن الله لا يحب المسرفين، وأن لا تشغل بإعداد الأطعمة عن العبادة فتستشعر حلاوة العبادة بالتفرغ لها مع احتساب الأجر في الانشغال بقيام الليل وقراءة القرآن وكذا في تقطير الصائمين في بيتها، وتستشعر أجر "من فطر صائماً فله مثل أجره"، وكذلك لا تشغل بالصفق في الأسواق وتضيع أجل الأوقات وأثمن المواسم في الأسواق مع أنها بإمكانها قضاء كثير من هذه الحاجيات قبل دخول الشهر.

وأيضاً فرمضان فرصة طيبة لتربية أولادنا على الطاعة والامتثال لأمر الله. وذلك بتدريب من يطيق منهم الصيام، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يجعلون لصبيانهم الألعاب من العهن - وهو الصوف - يستعملونها ملهاة للولد عن الجوع وألمه، فإذا بكى من ألم الجوع أعطوه اللعبة حتى يأتي وقت المغرب.

كذلك تنهياً في رمضان فرص عظيمة للاهتمام بالجاليات، فكثير من الأعاجم يعيشون بيننا، وهؤلاء منهم الكفرة الذين يحتاجون إلى دعوة صالحة للدخول في دين الله. والمسلمون منهم يحتاجون إلى تعليم وإرشاد ومنهم من يأتي من بلاده ببدع كثيرة ومعتقدات باطلة، فهؤلاء لابد أن يكون لهم من جهد الدعاة نصيب، لابد من رعاية فقرائهم وتعليم جاهلهم ونصح غافلهم والترفق معهم.

كذلك من وظيفة الدعاة إلى الله تعالى التنبه إلى الأخطار المحدقة بالأمة التي يقوم بها أعداء الدين في صرف الناس عن حقيقة رمضان وشغلهم ببرامج الطبخ وطبق اليوم والفوازير بما فيها من المجون وإضاعة الوقت والسهرات والمسلسلات والبرامج

المنظمة لإلهاء المسلمين عن الدين وتحويل شهر العبادة والقرآن إلى شهر فسق ومجون ولهو وسهر في المعاصي. وهذه مسألة خطيرة يجب على الدعاة أن يقوموا ببيانها للناس.

وكذلك فلا بد من توجيه الخطاب وتحسينه لهذا الذي جاء إلى المسجد لأول مرة، وأولئك الذين شغلهم الملاهي والمحرمات ثم جاءوا اليوم تائبين. ماذا سنقول لهم؟ إن الداعية الناجح هو الذي يظفر آخر الشهر بمكسب عظيم، قوم كانوا أول الشهر غافلين فلم ينطو الشهر حتى عادوا تائبين، ملتقنين حول صاحبهم الذي هداهم الله به. وهذا من معايير نجاح الداعية إلى الله.

وكذلك مما ينبغي أن ينبه له ظاهرة الكسل في العشر الأواخر. ففي بداية العشر الأوائل يكون لرمضان فرحة تشمير للعبادة وإقبال على الطاعات، ثم يحدث فتور في وسط الشهر، فإذا جاءت العشر الأواخر بميزاتها وفضائلها فتتربص النفوس، وضعفت العزائم، فينبغي أن تخص هذه الفترة في أولها بمرغبات ومذكرات ودوافع لأجل الاستمرار في العبادة.

كما ينبغي - أخيرا - أن ينتبه من يدعو غيره لنفسه وإلى أنه لا بد أن يأخذ بحظه من التعرض لرحمات ربه وأسباب كرمه وجوده التي يدعو الناس إليها، فلا ينشغل بدعوة الناس وينسى نفسه، بل ينبغي أن يكون قدوة، ومن أحرص الناس على التفرغ للعبادة، والانشغال بالقرآن والصلاة والأذكار، وكافة أنواع البر التي عادة ما يكون هو من أعلم الناس بها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاستثمار الأوقات الفاضلة فيما يعود علينا بالنفع في ديننا تربية للنفس على الخير وتعلينا لها ما يكون به صلاحها وفلاحها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## رمضان شهر الأَخلاق والفضائل

أ. د. عادل بن علي الشدي

أ. د. أحمد بن عثمان المزيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فإن للصيام ارتباطاً وثيقاً بمكارم الأخلاق والبعد عن مساوئها، فالصيام يدعو إلى تهذيب النفس وتزكيتها، وتحليها بالفضائل والمكارم، وتخليها عن الرذائل والمساوئ؛ وذلك لأنه يهيئ النفس للذكر والفكر، ويضعف مجاري الشيطان، فيسهل على النفس التخلص من شهواتها المحرمة، كما أنه يقوي جانب المراقبة لله عز وجل والوقوف عند حدوده، وهذا حقيقة التقوى، قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (البقرة: ١٨٣).

قال الشيخ عبد العزيز السلمان: ”أي أنه فرضه عليكم لتتقوه بترك الشهوات؛ لأن في الصيام امتثالاً لأمر الله، واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك العزيمة والإرادة على ضبط النفس وترك الشهوات المحرمة والصبر عنها؛ لأن الصيام من أكبر أسباب التقوى، وحقيقة التقوى: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه“. (الأنوار الساطعات)

فوائد ترك الشهوات بالصيام:

قال ابن رجب: ”وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:

منها: كسر النفس، فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر

والبطر، والغفلة.



ومنها: تخلي القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب وتعميه، وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر، وتستدعي الغفلة. وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رفته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر. ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه، بإقداره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك، يتذكر به من منح ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتتكسر سورة الشهوة والغضب؛ ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصوم وجاء؛ لقطعه عن شهوة النكاح“.

الصوم وقاية من مساوئ الأخلاق:

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم وقاية من مساوئ الأخلاق وردائل السلوك والأفعال، فقال: ”والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني امرؤ صائم“ (متفق عليه) جاء في إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: وقوله: الصيام جنة، أي: ستر ومانع من الرفث والآثام، أو مانع من النار وسائر منها، أو مانع من جميع ذلك... وفي بعض الروايات: ”فلا يصخب“ وهو من معنى يجهل، والصخب بالسین والصاد الصياح. ورواه الطبري: ”فلا يسخر“ بالراء ومعناه صحيح، لأن السخرية بالقول والفعل كله من الجهل“.

وفي ”عمدة القاري شرح صحيح البخاري“: ”قوله: ”فلا يرفث“ معناه: لا يفحش، والمراد من الرفث هنا: الكلام الفاحش ويطلق على الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء، ويحتمل أن يكون النهي عما هو أعم منهما.

قوله: ”ولا يجهل“ أي: لا يفعل شيئاً من أفعال الجاهلية كالعياط والسفه والسخرية.

وقوله: ”فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني امرؤ صائم“.

هذا من كمال أخلاق الصائم، أنه لا يقابل السيئة بالسيئة، ولا يقول كما كان أهل الجاهلية يقولون:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وإنما يصبر على الأذى، ويحلم على من تعدى، ويعفو ويصفح، وهو قادر على إنزال العقوبة بالخصم إلا أنه يترك ذلك ابتغاء مرضاة الله، فيقول بلسانه: ”إنني صائم“ حتى يعلم من يجهل أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل أو يقول ذلك لنفسه أي وإذا كنت صائماً فلا ينبغي أن أخدش صومي بالجهل ونحوه، فيزجر نفسه بذلك“ (عمدة القاري).

من أخلاق الصائم ترك المحرمات:

قال ابن رجب: ”واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرمه الله في كل حال، من الكذب، والظلم، والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ”من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه“ (خرجه البخاري).

وفي حديث آخر: ”ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث“ (أخرجه النسائي وابن ماجه).

قال بعض السلف: أهون الصيام: ترك الطعام والشراب.

وقال جابر: ”إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء“.

إذا لم يكن في السمع مني تصاون وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذاً من صومي الجوع والظماً فإن قلت إنني صمت يومي فما صمت  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ”رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش،  
ورب قائم حظه من قيامه السهر“ (رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني).  
وسر هذا أن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك  
المحرمات، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب بترك المباحات، كان بمثابة من يترك  
الفرائض ويتقرب بالنوافل.. ولهذا المعنى - والله أعلم - ورد في القرآن بعد ذكر تحريم  
الطعام والشراب على الصائم بالنهار، ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل، فإن  
تحريم هذا عام في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب، فكان إشارة إلى أن  
من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه، فليمتثل أمره في اجتناب  
أكل الأموال بالباطل، فإنه محرم بكل حال، ولا يباح في وقت من الأوقات. (لطائف  
المعارف)

إن كثيراً من الناس يتعاملون مع رمضان والصيام كعادة من العادات التي  
توارثوها عن الآباء والأجداد، والتي تقتضي منهم الامتناع عن الطعام والشراب والجماع  
من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أما الأخلاق فلا تتغير بل قد تزداد أخلاقهم سوءاً  
بالصيام، وإذا ما عوتب أحدهم على تطاوله على الآخرين بلسانه أو فعله احتج بأنه  
صائم، وكأن الصيام سبب فيما هو عليه من سوء خلق وإيذاء للناس، فهذا حال من  
جهل حكم الصيام وفوائده ولم ينظر إليه كعبادة عظيمة من أعظم العبادات التي  
تزكي النفس، وتطهر القلب، وتشرح الصدر، وترضي الرب تبارك وتعالى.

من أخلاق الصائم كف اللسان والجوارح عن المحرمات:

قال العلامة ابن حجر الهيتمي: ”إن مما يتأكد على الصائم المحافظة التامة  
على كف اللسان عما لا خير فيه من الكلام كالكذب والنميمة والغيبة والمشاتمة  
وكل كلام قبيح، وكذا كف نفسه وبدنه عن سائر الشهوات والمحرمات، كما  
شمل ذلك حديث: ”من لم يدع قول الزور والعمل به“، وحديث: ”فلا يرفث ولا  
يفسق“ ومر من ذلك جملة مستكثرة من الفضائل، يعلم منها أن ذلك هو سر الصوم

ومقصوده الأعظم لتكسر نفسه عن الهوى، ويقوى على التحفظ من الشيطان وأعدائه بإحكام أساس التقوى...

وما أحسن قول المتولي: يجب على الصائم أن يصوم بعينه فلا ينظر إلى ما لا يحل، وبسمعه فلا يسمع ما لا يحل، وبلسانه فلا ينطق بفحش، ولا شتم، ولا يفتب، وهذه الأشياء وإن حرمت مطلقاً ففي رمضان أشد تحريماً.

وقال الحلبي: ”ينبغي له أن يصوم بجميع جوارحه، ببشرته، وبعينه، وبلسانه، وبقلبه، فلا يفتب، ولا يشتم، ولا يخاصم، ولا يكذب، ولا يفني زمانه بإنشاد الأشعار، ورواية الأسماء، والمضحكات، والنساء على من لا يستحق، والمدح والذم بغير حق، وييده فلا يمدّها إلى باطل، وبرجله فلا يمشي بها إلى باطل، وبجميع قوى بدنه فلا يستعملها في باطل“ (تحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام).

من أخلاق الصائم اغتنام الأوقات في الطاعة:

فإن الله تبارك وتعالى قد فتح في هذا الشهر أبواب الرحمة، وغلق أبواب النيران، وسلسل الشياطين التي تدعو الناس إلى الشهوات وارتكاب المحرمات، فالمسلم يجعل نصب عينيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ”إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة“ (رواه الترمذي وابن ماجه).

يعلم المسلم هذه الفضائل العظيمة لهذا الشهر الجليل، فيشمر عن ساق الجد، ويتسابق مع إخوانه في التقرب إلى الله بأنواع الطاعات في هذا الشهر، ويحذر أشد الحذر من تضييع أوقات الشهر في الكسل والبطالة، أو في القيل والقال، والغيبة والنميمة والكذب والبهتان، أو في متابعة الأفلام والبرامج والمسلسلات التي تعد كل عام خصيصاً لهذا الشهر لإفساد صيام الناس، وإشغالهم عن المطلوب منهم في هذا الشهر الكريم.

ومن الناس من يضيع نهار رمضان في النوم الذي يؤدي إلى تضييع الصلوات، ثم يسهر ليله لاهيا لاعبا، متمسكا في الأسواق والطرقات، فلا صياما أدرك، ولا قياما أصاب.

ومنهم من يضيع أوقات الشهر متنقلا بين مواقع الإنترنت، أو صفحات الفيس والتويتر، يسمع الأكاذيب ويروج للإشاعات، فلم يستفد في دنياه أو آخراه. عن الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال: ”إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمرا لخلقه يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإسائه.

ومن إخلاق الصائم سلامة الصدر:

بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم يذهب ضيق الصدر وحقده وغيظه على المسلمين، وأنه يجعل الصدر سليماً صافياً لا يحمل العداوة والبغضاء لأي من عباد الله عز وجل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر“ (رواه البزار وحسنه ابن حجر والألباني).

ومن أخلاق الصائم الأمانة:

فالصيام أمانة من جملة الأمانات التي تحملها الإنسان، وعجزت عن حملها السموات والأرض قال تعالى: [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] (الأحزاب: ٧٢).

ولذلك جاء الوعيد الشديد للمفرط في أمانة هذا الشهر العظيم بالفطر قبل غروب الشمس ولو بدقائق معدودة؛ لأن هذا يدل على تهاونه بالشهر وعدم أداء العبادة

على الوجه الصحيح، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ”بينما أنا نائم أتاني رجلان، فأخذا بضبعي - عضدي - فأتيا بي جبلا وعراً، فقالا: اصعد. فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: سنسهله لك، فصعدت، حتى إذا كنت في سواد الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيهم مشقة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما، قلت: من هؤلاء؟ قالوا: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم“ (رواه النسائي في الكبرى وصححه الألباني).

فإذا كان هذا الوعيد الشديد فيمن يتهاونون في صومهم ويتساهلون بالفطر قبل غروب الشمس ولو للحظات، فكيف بمن لا يصومون بالكلية؟ وكيف بمن يستهزئون بالصيام ويسخرون من الصائمين؟! ومن أخلاق الصائم الرحمة:

ولذلك ذكروا من حكم الصيام أن يشعر الأغنياء بالجوع والعطش؛ ليجودوا على الفقراء ويعطفوا عليهم ويرحموا حاجتهم وفقيرهم. إن رحمة الخلق هي أقرب الأبواب لنيل رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ”الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء“ (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني) أما قساة القلوب، غلاظ الأكباد، الذين لا يرحمون ضعيفاً، ولا يعطفون على مسكين، فإنهم بعيدون عن رحمة الله، كما قال صلى الله عليه وسلم: ”لا يرحم الله من لا يرحم الناس“ (متفق عليه).

فشهر رمضان هو شهر رحمة، فيجب على المسلم أن يشعر فيه بالمحرومين وأن يسهم في إدخال السرور على الفقراء والمساكين، حتى ينال رحمة الله سبحانه، وحتى ينجو من الشقاء الذي ينال طغاة البشر الذين لا يرحمون الخلق، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”لا تنزع الرحمة إلا من شقي“. (أخرجه الترمذي وقال: حسن)

ومن أخلاق الصائم الورع وترك الشبهات:

وكما أن الصائم يترك ما حرمه الله تعالى عليه من المطاعم المشارب والمناكح حال صيامه، فإنه كذلك يتورع عن الشبهات، ولا يقدم إلا على الحلال المحض من الأطعمة، والأشربة، والألبسة، والمكاسب، وغير ذلك، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتهيات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه..." (متفق عليه).

قال ابن رجب: "والله عز وجل حمى هذه المحرمات، ومنع عباده من قربانها، وسماها حدوده، فقال: [تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] (البقرة: ١٨٧). وهذا فيه بيان أنه حد لهم ما أحل لهم وما حرم عليهم، فلا يقربوا الحرام، ولا يتعدوا الحلال؛ ولذلك قال في آية أخرى: [تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] (البقرة: ٢٢٩). وجعل من يرعى حول الحمى وقربيا منه جديرا بأن يدخل الحمى ويرتع فيه، فكذلك من تعدى الحلال ووقع في الشبهات، فإنه قد قارب الحرام غاية المقاربة، فما أخلقه بأن يخالط الحرام المحض ويقع فيه" (جامع العلوم والحكم).

قال أبو الدرداء: تمام التقوى أن يتقى الله العبد، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً، حجاباً بينه وبين الحرام. وقال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين، حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.



## العلامة ابن التركماني رحمه الله وكتابه الجوهر النقي في الرد على البيهقي

فاروق عبد الله بن محمد أشرف الحق  
المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين،  
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.  
فهذا بحث مختصر عن العلامة ابن التركماني رحمه الله وكتابه الجوهر النقي  
في الرد على البيهقي.

وقد قسمته في مبحثين:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للعلامة ابن التركماني رحمه الله.

المبحث الثاني: دراسة موجزة عن كتاب «الجوهر النقي في الرد على البيهقي».

ترجمة موجزة للعلامة ابن التركماني رحمه الله

اسمه ونسبه ونسبته وكنيته: هو علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن إبراهيم  
المارديني المعروف بابن التركماني الحنفي<sup>(١)</sup>.

المارديني: نسبة إلى ماردين، وهي بلدة من بلاد الجزيرة<sup>(٢)</sup>.

والتركماني: نسبة إلى التركمان جيل من الترك، أرضهم قريبة من بخارى<sup>(٣)</sup>.

ولادته ونشأته العلمية: ولد رحمه الله سنة ٦٨٣ من الهجرة، ونشأ في أسرة علمية، فقد  
كان أبوه القاضي فخر الدين عثمان (ت ٧٣١هـ) شيخ الحنفية في وقته بالديار المصرية،

(١) الواجفي بالوفيات للصفدي (٢٠٧/٢١)، ورفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر (ص ٢٧٧).

(٢) الأنساب (١٦٢/٥)، والمقصود بالجزيرة هي التي بين دجلة وفرات بالعراق.

(٣) مختصر فتح رب الأرياب لعباس المدني الشافعي (ص ١١).



وتخرج عليه خلق كثير، وأخوه العلامة تاج الدين أحمد (ت٧٤٤هـ) كان عالماً في الفقه وأصوله والفرائض والنحو والهيئة والمنطق، فأثرت عليه هذه البيئة العلمية، فطلب العلم وتفقه على جماعة من علماء عصره<sup>(١)</sup>.

قال عبد القادر القرشي في ترجمته: "علي بن عثمان الإمام، ابن الإمام، أخو الإمام، ووالد الإمامين، أبو الحسن ... أهل بيت علماء فضلاء"<sup>(٢)</sup>.  
والزمن الذي نشأ فيه رحمه الله كانت بلاد مصر فيه زاخرة بالعلماء، فلم يحتج إلى الرحلة إلى البلاد الشاسعة.

شيوخه: سبق أن بلدته رحمه الله كانت زاخرة بالعلماء الكبار، فتتلمذ رحمه الله على يد كثير منهم، من أبرزهم<sup>(٣)</sup>:

- ١ - القاضي فخر الدين عثمان (ت٧٣١هـ) والده.
  - ٢ - عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.
  - ٣ - أحمد بن إسحاق الأبرقوهي.
  - ٤ - علي بن عيسى الثعلب الشافعي.
  - ٥ - أحمد بن أبي طالب الصالحي ابن الشحنة.
- تلاميذه: بلغ العلامة ابن التركماني رحمه الله مكانة عالية من بين علماء عصره، فقصده الطلاب، واستفاد من علمه جم غفير منهم<sup>(٤)</sup>.
- ١ - الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي.
  - ٢ - جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي .
  - ٣ - عبد القادر بن محمد الحنفي صاحب الجواهر المضيئة.
  - ٤ - ابنه عبد العزيز.
  - ٥ - ابنه عبد الله.

(١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الواجف لابن تغري بردي (٤١٢/٧).

(٢) الجواهر المضيئة له (٥٨١/٢).

(٣) الواجف بالوفيات (٣٠٦/١٩)، وذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد لأبي الطيب المكي الفاسي

(٢٠٢/٢)، ولحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد الهاشمي (ص٨٦).

(٤) المصدر نفسه.

ثناء العلماء عليه: لقد أثنى عليه كثير من العلماء ثناء عاطراً:  
قال ابن تغري بردي: "كان إماماً عالماً بارعاً مفنناً، تصدر للإفتاء والتدريس  
سنين، وكان معظماً عند الملوك"<sup>(١)</sup>.

وقال الصفيدي: "أفتى عمره في الاشتغال بالعلوم وتفنن فيها وصنف التصانيف  
العديدة وجمع المجاميع الحسنة المفيدة"<sup>(٢)</sup>.  
وقال الحافظ ابن حجر: "تفقه وتمهر وأفتى ودرس وصنف التصانيف الحافلة ثم  
ولي القضاء"<sup>(٣)</sup>.

وقال قاسم بن قطلوبغا الحنفي: "كان إماماً في الفقه، والتفسير، والحديث،  
والأصول، والفرائض، والحساب، والشعر، أفتى، ودرّس، وأفاد، وصنف، وجمع  
المجاميع المفيدة"<sup>(٤)</sup>.

عقيدته: لم تذكر المصادر عن عقيدته شيئاً، لكن هناك أمور تشكك في عقيدته،  
وتبين أنه لم يكن على منهج السلف رحمهم الله، منها:

١ - أنه اشتغل بعلم الكلام، بل ألف فيه بعض المؤلفات، مثلاً: اختصر كتاب  
المحصل في الكلام للفخر الرازي، وكذلك اختصر رسالة القشيري في التصوف، وله  
مقدمات في العلوم العقلية.

ومن المعروف أن كتب أهل الكلام محتوية لأصول معتقداتهم الباطلة<sup>(٥)</sup>.

٢ - أنه كان حنفي المذهب، بل كان متعصباً له، ومعظم الأحناف في معتقدتهم  
ماتريديّة، والقليل منهم أشاعرة<sup>(٦)</sup>.

مذهبه الفقهي: اتفقت المصادر على نسبه إلى المذهب الحنفي، وأبوه كان شيخ  
الحنفية في الديار المصرية، وقد تأثر به وأخذ عنه المذهب الحنفي، ثم تولى قضاء

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الواجبي (٤١٢/٧).

(٢) الواجبي بالوفيات (٢٠٥/٢١).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٠٠/٤).

(٤) تاج التراجم (ص ٢١١).

(٥) انظر: دراسة تعقبات ابن التركماني في الجوهر النقي لشيخنا د. حسين بن شريف العبدلي (ص ٣٣م).

(٦) الماتريديّة وموقفهم من الأسماء والصفات لشمس الدين الأفغاني (٤٠٨/١).

الحنفية في أواخر عمره<sup>(١)</sup>، بل كان متعصباً لمذهبه وغالياً فيه - نسأل الله العفو والعافية من هذا الداء المهلك - .

قال المقرئزي: "كان يغلو في مذهبه غلوًا زائدًا"<sup>(٢)</sup>.

وتعصبه لنصرة مذهبه واضح في كتابه الجوهر النقي، فإنه يخضع الدليل لرأي إمامه ويؤوله تأويلًا فاسدًا ليوافق رأي إمامه، والله المستعان. أهم مؤلفاته: سبق أنه رحمه الله ألف مؤلفات عديدة ونافعة، من أهمها<sup>(٣)</sup>:

١ - الجوهر النقي في الرد على البيهقي.

٢ - بهجة الأريب في بيان ما في الكتاب العزيز من الغريب.

٣ - تخريج أحاديث الهداية.

٤ - شرح القدوري.

٥ - مختصر علوم الحديث لابن الصلاح.

وفاته: توفي رحمه الله يوم الثلاثاء العاشر من شهر الله المحرم (وهو يوم عاشوراء) سنة سبع مائة وخمسين من الهجرة (١٠/١/٧٥٠هـ)، وكانت وفاته بالطاعون العام، ودفن بالقاهرة<sup>(٤)</sup>.

دراسة موجزة عن كتاب "الجوهر النقي في الرد على البيهقي"

تسمية الكتاب: اشتهر الكتاب بـ "الجوهر النقي في الرد على البيهقي"، وبه سماه جماعة من العلماء في كتبهم، مثل بدر الدين العيني<sup>(٥)</sup>، وقاسم بن قطلوبغا<sup>(٦)</sup>، والكتاني<sup>(٧)</sup>، ويوسف سركييس<sup>(٨)</sup>، وإسماعيل الباباني<sup>(٩)</sup> رحمهم الله، وغيرهم.

(١) لحظ الألاحظ (ص ٨٦).

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئزي (٣/٤٣١).

(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر (ص ٢٧٨)، وتاج التراجم (ص ٢١١)، ولحظ الألاحظ (ص ٨٦).

(٤) رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر (ص ٢٧٨)، وتاج التراجم (ص ٢١١).

(٥) شرح سنن أبي داود للعيني (٣/٣٤٧).

(٦) تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ٢١١).

(٧) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ص: ٣٣).

(٨) معجم المطبوعات العربية والمعربة (١/٥٠).

(٩) هدية العارفين (١/٧٢٠).

وسماه المقريزي بـ "كتاب الرد النقي في الرد على البيهقي"<sup>(١)</sup>.  
 وسماه ابن تغري بردي وحاجي خليفة بـ "الدر النقي في الرد على البيهقي"<sup>(٢)</sup>.  
 توثيق نسبته إلى ابن التركماني: لقد ثبتت نسبة الكتاب إلى ابن التركماني رحمه  
 الله بعدة أمور:

- ١ - أطبق جميع من ترجم له على نسبة الكتاب إليه.
  - ٢ - استفاد منه من جاء بعده من العلماء، وأحالوا إليه في كتبهم، مثل الحافظ  
 ابن حجر في النكت<sup>(٣)</sup>، والعيني في عمدة القاري، وشرحه لسنن أبي داود<sup>(٤)</sup>، والبنائية  
 شرح الهداية<sup>(٥)</sup>، والسندي في فتح الغفور<sup>(٦)</sup>، ومحمد أنور شاه الكشميري في فيض  
 الباري<sup>(٧)</sup>، والمباركفوري في تحفة الأحوزي<sup>(٨)</sup>، وغيرهم.
  - ٣ - اشتهرت نسبته إليه، حيث لا ينسب إلا إليه.
- ثناء العلماء عليه: سبق أنه كان صاحب التصانيف الحافلة، ولعل كتابه «الجوهر  
 النقي» من أحسن كتبه، فقد أثى عليه جماعة من العلماء.  
 قال تلميذه عبد القادر القرشي: "قد اعنتى شيخنا قاضي القضاة علاء الدين  
 ووضع كتاباً عظيماً نفيساً على السنن الكبير له"<sup>(٩)</sup>.  
 وقال الداودي: "ووضع على الكتاب الكبير للبيهقي كتاباً نفيساً نحواً من  
 مجلدين"<sup>(١٠)</sup>.

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك (٤/١١٤).

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي (٧/٤١٢)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب  
 والفنون (١/٧٣٦).

(٣) (٢/٥٦٤).

(٤) انظر: (٤/١٦٥).

(٥) انظر: (٤/٣٤٩).

(٦) (ص ٩٠).

(٧) انظر: (٦/٣٨٧).

(٨) انظر: (٢/١٩٤).

(٩) الجواهر المضيئة (٤/٥٧٠).

(١٠) طبقات المفسرين (١/٤١٦).

وذكر الحافظ ابن حجر أنه صاحب التصانيف الحافلة، ثم ذكر منها الجوهر النقي<sup>(١)</sup>.  
منهجه<sup>(٢)</sup>: لم يقدم الحافظ ابن التركماني رحمه الله لكتابه بمقدمة تفصيلية يبين فيها منهجه في كتابه؛ بل اكتفى بقوله: "فهذه فوائد علقتها على السنن الكبرى للحافظ أبي بكر البيهقي رحمه الله تعالى أكثرها اعتراضات عليه، ومناقشات له، ومباحثات معه، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

لكن من خلال النظر في كتابه يتبين منهجه رحمه الله، وذلك:

١ - سار في تعقباته على ترتيب الإمام البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى.  
٢ - يبدأ تعقباته بتبويب الإمام البيهقي رحمه الله، فيقول مثلاً: "قال البيهقي باب كذا وكذا... قلت: ...".

٣ - لا يورد كلام الإمام البيهقي رحمه الله المتعقب كاملاً، بل يشير إليه مختصراً ثم يبدأ بالتعقب عليه.

٤ - يورد أحياناً عدداً من أدلة الإمام البيهقي رحمه الله ثم يجيب عنها في تعقب واحد.  
٥ - يتعصب لمذهبه الحنفي كثيراً في تعقباته على الإمام البيهقي رحمه الله، فيضعف الحديث بسبب راو معين، ثم في مكان آخر يصح حديثه أو يسكت عنه وذلك لأنه يوافق مذهبه، وكذا العكس<sup>(٣)</sup>.

٦ - كثيراً ما يتعقب على البيهقي إذا تكلم على الراوي بأنه خرج له الإمام الحاكم في مستدركه<sup>(٤)</sup>، أو صحح أو حسن حديثه الترمذي في جامعه، أو سكت عن حديثه أبو داود في سننه، أو ذكره العجلي أو ابن حبان في ثقتهما<sup>(٥)</sup>، فكأنه يذهب إلى توثيق الراوي بمجرد ذكر هؤلاء العلماء له في كتبهم.

(١) الدرر الكامنة (١٥٧/٣).

(٢) استفاد من "دراسة تعقبات ابن التركماني على السنن الكبرى للبيهقي" لحسين بن شريف العبدلي، وقاسم الطواشي، وعبد الرحمن الشمراني، وكوليباليبازومانا سنقل حفظهم الله وبارك في علمهم وعمرهم، وجزاهم عني خير الجزاء.

(٣) انظر مثلاً: (٣٠٤/٣).

(٤) انظر مثلاً: (٣٣٠/٤).

(٥) انظر مثلاً: (٣٣٢/٤، ٣٤٩).

- ٧ - قد يدل البيهقي حديثاً براو ضعيف في سنده، ويتعقبه ابن التركماني بمن هو أضعف منه في السند.
- ٨ - أحياناً يوافق البيهقي في تضعيف الحديث لكنه يخالفه في سبب التضعيف.
- ٩ - عند الكلام على الراوي المختلف فيه يورد الكلام الذي يوافق مذهبه فقط، ويفعل كلام المخالفين لمذهبه.
- ١٠ - ينقل كلام المتقدمين بواسطة، دون الرجوع إلى المصادر الأصيلة فيها، وبسببه يقع منه الوهم والخطأ أحياناً.
- ١١ - ينقل كثيراً عند التعقب في المسائل الفقهية عن علماء الحنفية كالتحاوي والقُدوري وأبي بكر الجصاص وغيرهم.
- عناية العلماء به: لقد اعتنى به العلماء وطلاب العلم منذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا قراءة، وسماعاً، واستفادوا منه وأحالوا إليه في مؤلفاتهم، خاصة علماء المذهب الحنفي رحمهم الله، وفيما يلي بعض مظاهر هذه العناية:
- ١ - لخصه زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (المتوفى ٨٧٩هـ) وسماه «ترجيح الجوهر النقي»، ورتبه على ترتيب حروف المعجم، وبلغ فيه إلى حرف الميم<sup>(١)</sup>.
- ٢ - دراسة تعقبات ابن التركماني في الجوهر على السنن الكبرى للبيهقي للشيخ حسين بن شريف العبدلي، رسالة دكتوراه.
- ٣ - دراسة تعقبات ابن التركماني في الجوهر على البيهقي في السنن الكبرى للشيخ كوليباليبازوماننا سنقل، رسالة دكتوراه.
- ٤ - دراسة تعقبات ابن التركماني في الجوهر على السنن الكبرى للبيهقي للشيخ قاسم بن حمد الطواشي، رسالة دكتوراه.
- ٥ - دراسة تعقبات ابن التركماني في الجوهر على السنن الكبرى للبيهقي للشيخ عبد الرحمن بن صالح الشمrani، رسالة دكتوراه.
- ٦ - طبع من مكتبة دار الفكر على هامش السنن الكبرى للبيهقي . هذا ما تم جمعه وترتيبه، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين. ❖❖

(١) كشف الظنون (١٠٠٧/٢)، والرسالة المستطرفة (ص٣٣).

## بعض بدعة ليلة ختم القرآن

الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري

مما أحدث في هذا الشهر العظيم - شهر رمضان المبارك - رفع الصوت بالدعاء بعد ختم القرآن، ويكون هذا الدعاء جماعياً، أو كل يدعو لنفسه، ولكن بصوت عال، مخالفين بذلك قوله تعالى: {ادعوا ربكم تضرعاً وخفية} <sup>(١)</sup>. وهذا الشهر العظيم موضع خشوع وتضرع وابتهاال، ورجوع إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة النصوح الصادقة مما قارفه من الذنوب، والسهو والغفلات والتقصير في الطاعة فينبغي أن يبذل الإنسان جهده، كل على قدر حاله، ويدعو الله بالأدعية الصحيحة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين والسلف الصالح، والتي تخلو تماماً من دعاء غير الله أو التوسل به.

وسرية الدعاء أخرى للإخلاص فيه، بعيداً عن الرياء والسمعة، فعندما رفع الصحابة أصواتهم بالدعاء قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه، وتعالى جده" <sup>(٢)</sup>. وفي رواية لمسلم: "والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم" <sup>(٣)</sup>.

ومن البدع التي أحدثت في ليلة ختم القرآن:

<sup>(١)</sup> سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

<sup>(٢)</sup> رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٦ / ١٣٥) كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٢٩٢)، واللفظ له. ورواه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٠٧٦) كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم (٢٧٠٤).

<sup>(٣)</sup> رواها في صحيحه (٤ / ٢٠٧٧) كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم (٢٧٠٤)، (٤٦).

١ - اجتماع المؤذنين تلك الليلة فيكبرون جماعة في حال كونهم في الصلاة، لغير ضرورة داعية إلى السمع الواحد، فضلا عن جماعة، بل بعضهم يسمعون ولا يصلون، وهذا فيه ما فيه من القبح والمخالفة لسنة السلف الصالح -رحمة الله عليهم-.

٢ - أنه إذا خرج القاريء من الموضع الذي صلى فيه، أتوه ببغلة أو فرس ليركبها، ثم تختلف أحوالهم في صفة ذهابه إلى بيته، فمنهم من يقرأ القرآن بين يديه، كما يفعلونه أمام جنائزهم من عاداتهم الذميمة، والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد.

قال ابن الحاج: (قال القاضي أبو الوليد بن رشد - رحمه الله تعالى - : كره مالك قراءة القرآن في الأسواق والطرق لوجوه ثلاثة:

أحدها: تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأه وهو ماش في الطرق والأسواق، لما قد يكون فيها من الأقدار والنجاسات.

الثاني: أنه إذا قرأ القرآن على هذه الأحوال لم يتدبره حق التدبر.

الثالث: لما يخشى أن يدخله ذلك فيما يفسد نيته. اهـ<sup>(١)</sup>

٣ - سير الفقراء الذاكرين بين يدي القاريء، إلى أن يصل إلى بيته، ومنهم من يعوض ذلك بالأغاني، وهو أشد هذه الأمور وإن كانت كلها ممنوعة.

٤ - ضرب الطبل والأبواق والدف أو الطار أمام القاريء أثناء سيره إلى بيته.

٥ - وربما جمع بعضهم الأمور السابقة كلها أو أكثرها، ويكون في ذلك من اللهو واللعب ما هو ضد المطلوب في هذه الليلة، من الاعتكاف على الخير، وترك الشر والمباهاة والفخر ونحو ذلك.

٦ - عمل بعض أنواع الأطعمة والحلاوات لهذه المناسبة.

٧ - زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع، ولما في ذلك من إضاعة المال، والسرف والخيلاء.

<sup>(١)</sup> يراجع: المدخل (٢ / ٣٠١).



- ٨ - استعمال الشمع للوقود في أوان من ذهب أو فضة، ولا يخفى تحريم استعمالهما لعدم الضرورة إليهما.
- ٩ - تعليق ختمه عند الموضع الذي يختمون فيه، فمنهم من يتخذها من الشقق<sup>(١)</sup> الحرير الملونة، ومنهم من يتخذها من غيرها، لكنها ملونة أيضا، ويعلقون فيها القناديل، وما في ذلك من السرف والخيلاء وإضاعة المال والرياء والسمعة واستعمال الحرير.
- ١٠ - ومنهم من يستعير القناديل من مسجد آخر وهي وقف عليه، فلا يجوز إخراجها منه، ولا استعمالها في غيره.
- ١١ - أن هذا الاجتماع يفضي إلى اجتماع أهل الريب والشك والفسوق، وممن لا يرضى حاله، حتى جر ذلك إلى اختلاط النساء بالرجال في موضع واحد ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم.
- ١٢ - كثرة اللفظ في المسجد ورفع الأصوات فيه، والقبيل والقال، إذ أنه يكون الإمام في الصلاة، وكثير من الناس يتحدثون ويخوضون في أشياء ينزه المسجد عن بعضها.
- ١٣ - اعتقاد بعض العلماء أن هذا الاجتماع بما فيه من البدع، إظهار لشعائر الإسلام، ولا يخفى ما يجلب هذا الأمر من الضرر العظيم، وتكثير سواد أهل البدع، ويكون حضور هؤلاء العلماء حجة إن كانوا قدوة للقوم، بأن ذلك جائز غير مكروه، فيقولون: لو كان بدعة لم يحضره العالم فلان، ولم يرض به. فإننا لله وإننا إليه راجعون. والإثم في هذا على من فعله أو أمر به أو استحسنته أو رضي به أو أعان عليه بشيء أو قدر على تغييره فلم يفعل.

<sup>(١)</sup> الشقة بالضم: معروفة من الثياب السببية المستطيلة، والجمع شقاق وشقق، فالشقة جنس من الثياب. يراجع: لسان العرب (١٠ / ١٨٤)، مادة (شقق).

١٤ - إحضار الكيزان وغيرها من أواني الماء في المسجد حين الختم، فإذا ختم القارئ شربوا ذلك الماء، ويرجعون به إلى بيوتهم، فيسقونه لأهلهم ومن شاءوا على سبيل التبرك، وهذه بدعة لم تتقل عن أحد من السلف - رحمة الله عليهم - .

١٥ - تواعدهم للختم، فيقولون: فلان يختم في ليلة كذا وفلان يختم في ليلة كذا، ويعرض ذلك بعضهم على بعض، ويكون ذلك بينهم بالنوبة، - أي بالتناوب - ، حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل، وشعائر تظهر، فلا يزالون كذلك غالباً من انتصاف شهر رمضان إلى آخر الشهر، وهذا أمر محدث لم يؤثر عن السلف الصالح - رحمة الله عليهم - <sup>(١)</sup>.

فهذه بعض المنكرات والبدع التي أحدثت في ليلة الختم، ولما كانت مخالفة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، وما عليه السلف الصالح زينها الشيطان وأتباعه في نفوسهم، وسول لهم الإصرار على فعلها، وجعل ذلك من شعائر الدين، ولو فرضنا جدلاً أن هذه الأمور المحدثه مطلوبة شرعاً لادعى هؤلاء المبتدعة المشقة في فعلها، وعجزهم عنها، ولتهاونوا بها، ولكن صدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون} <sup>(٢)</sup> - والله أعلم - .



<sup>(١)</sup> يراجع: المدخل لابن الحاج (٢ / ٢٩٩، ٣٠٥).

<sup>(٢)</sup> سورة فاطر، آية: ٨.

## إسهامات علماء المسلمين في التقدم العلمي والتكنولوجي

عزير أحمد عبد الرشيد

الرياض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. وبعد:  
 لقد شهدت العقود الأخيرة اهتماما متزايدا بعلوم الحضارة الإسلامية والتعرف  
 على علمائها الذين أسهموا في دفع مسيرة الحضارة الإنسانية، ونظرا لتلك الأهمية  
 البالغة للتراث الإسلامي في بناء عالم بشري متطور فكريا وعمليا؛ جادت علي قريحتي  
 بإثارة الخاطر على البحث والتمحيص في شتى مجالات العلوم والمعارف التي حظيت  
 بجهود علماء المسلمين إبداعا أو بلورة لوصفاتها البحتة وموادها الخام؛ لأقف على مدى  
 إسهاماتهم في الرقي العلمي والتكنولوجي، وقيمة أعراقهم التي سالت على وجوههم  
 من سخونة العقل والتفكير، حتى إنهم أبهروا الكون بسعة علمهم وعمق تفكيرهم.  
 فعطفت بوسائل البحث إلى ريع هدي، وانكبت على موارد صافية لسقي  
 الموضوع، فانتقيت منها ما كان يصب في إنائه، ثم بسطت القول في حقلين: أولهما  
 لتدوين جهودهم في التقدم العلمي، والثاني لبيان جهودهم في التقدم التكنولوجي،  
 وحاولت فيه اللحظ إلى معظم المجالات التي خاضوها ابتكارا وتطويرا. وجهدي في  
 ذلك كما هو بين أيديكم:

المجال الأول: خدمات علماء المسلمين في التقدم العلمي

أهمية العلم في الإسلام:

عني الإسلام بالعلم والتعلم، وحض الناس عليه منذ بداية البدايات، فكانت  
 سورة العلق أولى السور التي نزلت على قلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - {اقرأ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ<sup>(١)</sup> .

وهي آيات صريحة في أمرها، وقد فهم المسلمون منها أن الإقبال على العلم عبادة، بل إن فضل العلم أكثر من فضل العبادة، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"<sup>(٢)</sup> .

فالعلم عندنا دين والدين عندنا العلم<sup>(٣)</sup> . ولهذا كان العرب والمسلمون يعدون الإقبال على التعلم من الفرائض التي يجب على الأفراد والجماعات أدائها. وإن عرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أسرى بدر تعليم الكتابة لأبناء المسلمين يعد دليلاً على ما للعلم من قيمة عندهم، فاشتغل المسلمون بالدعوة والجهاد في سبيل الله مع انشغالهم بالعلم؛ لأنهم رأوا أنه لا تقدم ولا ازدهار إلا بالعلم، وتتجلى ثمرة حرصهم واضحة لدى كل من ينظر إلى إنجازاتهم بنظر الإنصاف.

#### مراكز التعليم في عصر القدامى:

والتعليم في أول الأمر كان يتم في المساجد وبيوت الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء، ولكن الدراسة حينذاك كانت مقتصرة على الكتابة والقراءة والأبواب اللغوية، ثم تعدتها إلى ما سواها من أبواب المعارف فدخلت عليها علوم المنطق، والحساب، ثم علوم الميقات، ثم علوم الطب.

وكان الوليد بن عبد الملك أول حاكم مسلم يأمر بإنشاء المدارس المنظمة للعلوم الدينية. وفي ذلك الوقت أنشأ المسلمون مدارس تعليم العلوم الدنيوية.

ففي ظل هؤلاء العباقرة المسلمين وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب أن تتال نصيبها من الدين والعلم والثقافة والحكم، وأن تساهم العرب وغيرهم من علماء

١- العلق: (١- ٥)

٢- الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

٣- الدين في عصر العلم، ص: ١٦

المسلمين في بناء العالم الجديد، وكان منهم أئمة هم تيجان مفارق العرب وسادة المسلمين من الأئمة والفقهاء والمحدثين<sup>(٤)</sup>.

#### مصطلح العلم:

العلم لغة: كما جاء في (اللسان) من علمتُ الشيء أعلمُهُ علماً؛ أي عرفته، والعلم: نقيض الجهل، وهو اليقين والمعرفة<sup>(٥)</sup>.

والعلم اصطلاحاً: يقول الراغب: "هو إدراك الشيء بحقيقته"<sup>(٦)</sup>.

ويقول الدكتور يوسف في تعريف العلم الحديث: "إنه عبارة عن طريقة مخصوصة في البحث أو ما ينتج عنها من معارف"<sup>(٧)</sup>.

#### نشأة العلم الحديث:

تختلف نشأة العلم الحديث من منظوري حضاري ومقارن تماماً عن عرضه حركةً أوروبية داخلية، وقد أثبت المؤرخون أنه كان هناك باحثون في الظواهر الطبيعية في المجتمعات والحضارات الأخرى، وأنه على مر العصور استخرج الدارسون الأساليب التي تمكنهم من صنع الأدوات وعمل التدابير اللازمة، وما هو أشد مدعاة للدهشة أن الحضارة الإسلامية (العربية) كانت حتى القرنين الثاني عشر والثالث عشر أكثر العلوم تقدماً في العالم؛ إذ فاقت إنجازاته كلا من الغرب والصين في مختلف العلوم<sup>(٨)</sup>.

وأما ما يراه بعض مؤرخي العلوم مثل (إدوار روزين)، و(هربرت فيلد): أن الثورة الكوبرنيكية كانت نقلة كبرى في التصور الغربي للكون ووضع الإنسان فيه<sup>(٩)</sup>، فهو ليس على شيء من الحق والصواب؛ وقد شهد به المؤرخ (روبرت) حيث قال: "إن هذه

٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بتصرف، ص: ١٢٧ - ١٢٩

٥- لسان العرب، ج: ٩، ص: ٣٧١

٦- تاج العروس، ج: ٣٣، ص: ١٢٧

٧- الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ص: ٢٦

٨- فجر العلم الحديث الإسلام - الصين - الغرب، ج: ٢، ص: ١٧١

٩- The Origins Of Modern Science، ص: ١٣

النقلة لم تكن إلا نوعاً من التحول العقلي، أحال المجموعة القديمة من المقدمات إلى مجموعة جديدة من العلاقات" (١٠).

وبهذه التوطئة ندخل إلى ساحة العلم وعلماء المسلمين؛ لنشاهد الإنجازات التي تمت على أيديهم في مجالات شتى وحقول عدة، ولما كانت هذه الإنجازات في عدد كبير؛ فإننا نتناولها مرتبة في السطور الآتية.

#### (أ) دور علماء المسلمين في اكتشاف المنهج التجريبي:

يُعدُّ التوصلُ إلى المنهج العلمي التجريبي الرصين في البحث، والقائم على القياس والاستقراء، والمستند إلى المشاهدة والتجربة - إضافةً إسلاميةً مهمةً لمسيرة العلم في العالم. وهو منهج مخالف تماماً لما كان عليه اليونان والهنود وغيرهم؛ فهؤلاء كانوا يكتفون في كثير من الأحيان بافتراض النظريات دون محاولة إثباتها عملياً، فكانت في أغلبها فلسفات نظرية، لا تطبيق لها في الكثير من الأحيان، حتى وإن كانت صحيحة، وكان يؤدي هذا إلى الخلط الشديد بين النظريات الصحيحة والباطلة، إلى أن جاء المسلمون فابتكروا الأسلوب التجريبي في تناولهم للمعطيات العلمية والكونية من حولهم، وهو ما أدى إلى تأسيس قواعد المنهج العلمي التجريبي، الذي ما زال العلم المعاصر يسير على هديه.

ومن العلماء المسلمين الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال جابر بن حيان والخوارزمي، والرازي والحسن ابن الهيثم، وابن النفيس، وغيرهم كثير (١١).

#### (ب) علوم الرياضيات

الرياضيات: الرياضيات جمع الرياضي نسبة إلى الرياضة، سميت بها؛ لارتياض الذهن، أي انقياده بسبب الاشتغال بها إلى درك المعقولات (١٢).

١٠- مترجم من كتاب "Proof, Poetics, and Patronage: Copernicus's preface to de revolution bus

ص: ١٧٠

<http://islamstory.com/> -١١

١٢- ترقيب العلوم، ص: ١٧٩

أخذ العرب مبادئ علم الرياضيات عن اليونانيين والهنود، وطوروا هذا العلم، ووصلوا به إلى ذروة عالية، حتى أصبحوا معلمي الرياضيات في عصر النهضة<sup>(١٣)</sup>.

ومن الحقول الرياضية التي برزت فيها ابتكارات المسلمين:

#### - الحساب:

الحساب علم بقوانين يستخرج بها المجهولات العديدة من معلوماتها، وموضوعه: العدد<sup>(١٤)</sup>.

ويمكن عرض خدمات المسلمين في موضوع الحساب - باختصار - في النقاط

الآتية:

١- نقل علماء المسلمين نظام الرقمين العشريين عن الهنود، أحدهما: (١٢٣٤٥٦٧٨٩)

وهو المستخدم في الشرق. والآخر (الرقم الإنجليزي) يستخدم في الغرب<sup>(١٥)</sup>.

وكان الخوارزمي هو أول من أورد الأرقام الهندية في مؤلفاته، وأول من كتب في

الحساب، وقد نقل كتابه إلى اللاتينية، وبقي الحساب قرونا عديدة باسم الغوريثمي

(Algorithmic)<sup>(١٦)</sup>.

٢- والعرب هم أول من استخدم الصفر عام ٨٧٣هـ قبل الهنود بست سنوات<sup>(١٧)</sup>.

٣- ووضعوا قواعد معينة لتقريب نتائج بعض العمليات الحسابية، مثل إيجاد

الجدور والنسب المثلثية والمساحات ونتائج عمليات الضرب وغير ذلك<sup>(١٨)</sup>.

#### - الجبر:

اشتغل العرب بالجبر وأتوا فيه بالعجب العجاب، حتى إن (كاجوري) قال: "إن

العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر..."، وهم أول من أطلق لفظة "جبر"

١٣-قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٨٧

١٤-ترتيب العلوم، ص: ١٨١

١٥-الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ص: ١٣٨

١٦-تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ص: ٨٨

١٧-المرجع السابق، ص: ٧٠٦، و "نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات" ص: ١٤٩

١٨-نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، ص: ١٤٠

على العلم المعروف الآن بهذا الاسم، وعنهم أخذ الإفرنج هذه اللفظة (Algebra)، وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة<sup>(١٩)</sup>. ويمثله تأليف العالم الإسلامي الكبير محمد بن موسى الخوارزمي (٢٣٢هـ) كتاب (الجبر والمقابلة) في عهد المأمون<sup>(٢٠)</sup>. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية مع النص العربي مرات، وبفضل الترجمة الكثيرة لهذا الكتاب وصل هذا العلم إلى أوروبا<sup>(٢١)</sup>.

- علم المثلثات: وهو أحد فروع الرياضيات التي تدرس العلاقات بين أضلاع وزوايا المثلث.

كانت هناك معارف جزئية في علم المثلثات لدى الهنود القدامى والإغريق. وقد انتقلت هذه المعارف، والتي كانت مختلطة بعلم الفلك إلى العرب المسلمين من ضمن ما انتقل من معارف خلال عملية النقل والترجمة النشطة في بداية العصر العباسي، فالعرب هم أول من استخدموا النسب المثلثية بالمعنى المتداول حالياً<sup>(٢٢)</sup>. ويقول العلامة قدري طوقان: "لولا العرب لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن، فإليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن الفلك، وفي الإضافات الأساسية المهمة التي جعلت الكثيرين يعدونه علماً عربياً كما اعتبروا الهندسة علماً يونانياً<sup>(٢٣)</sup>. وأول من كتب في علم المثلثات هو نصير الدين الطوسي؛ حيث إنه ألف كتابه في هذا العلم عام ٦٤٨هـ<sup>(٢٤)</sup>.

### (ج) علوم الفيزياء:

علم الفيزياء هو العلم الذي يعنى بدراسة القوانين الأساسية التي تحكم سير العالم الواقعي، وهو أحد فروع العلوم الطبيعية، وماهيته تختلف من عصر إلى عصر<sup>(٢٥)</sup>.

١٩- العلوم عند العرب، ص: ٥٥

٢٠- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ص: ٩٦

٢١- ماذا قدم المسلمون للعالم، ج ١، ص: ٣٢٤

٢٢- الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ص: ١٤٤

٢٣- العلوم البحتة في العصور الإسلامية، ص: ١٤٤

٢٤- الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ص: ١٤٥

٢٥- مستقبلات الفيزياء في عالم متغير، ص: ٣٣



وسوف نستعرض في هذا الجزء أساسيات بعض العلوم الفيزيائية المعاصرة في التراث الإسلامي، ومن هذه العلوم الفيزيائية ما يأتي:

#### - الميكانيكا

علم الميكانيكا هو العلم الذي عرف عند العرب باسم "علم الحيل"، جاء تعريفه في المعجم الإنجليزي (Longman Dictionary) وترجمته: أنه استعمال الحيلة مكان القوة، والعقل مكان العضلات، والآلة بدل البدن لإنجاز عمل ما.<sup>(٢٦)</sup> وقد ازدهر هذا العلم في العالم الإسلامي بين القرنين الثالث والسابع الهجريين، واستمر عطاء المسلمين فيه حتى القرن السادس عشر الميلادي تقريبا<sup>(٢٧)</sup>.

وقد اشتغل المسلمون في هذا العلم واستتبطوا بعض المبادئ والقوانين الأساسية التي لا يخلو أن تكون ذات أثر في تقدمه ومن الذين كتبوا في هذا العلم أبناء موسى بن شاعر؛ إذ يذكر لهم في الحيل كتاب نادر يحتوي على مائة تركيب ميكانيكي<sup>(٢٨)</sup>.

#### - البصريات:

البصريات أو المناظر، علم تعرف منه أحوال حاسة البصر من جهة ما يشعر البصر بمحسوساتها مطلقا<sup>(٢٩)</sup>.

كانت آراء فلاسفة الإغريق متباينة في تعريف طبيعة الضوء، وتفسير عملية الإبصار؛ وذلك بسبب قصور منهج التفكير السائد آنذاك، القائم على التأمل العقلي الخالص والقياس الصوري البحت، ولكن علماء الحضارة الإسلامية استطاعوا أن يتوصلوا إلى الطرق التجريبية الاستقرائية التي قفزت بهم إلى مرحلة معرفية أرقى<sup>(٣٠)</sup>.

ومن العلماء الذين خاضوا في هذا العلم ابن الهيثم (٤٣٠هـ) صاحب كتاب (المناظر)<sup>(٣١)</sup> وأبو إسحاق إبراهيم بن سنان (٣٣٥هـ)، وابن سينا، وله أشياء في

٢٦- مترجم من "Longman Dictionary"، ص: ١٠٢٤

٢٧- موقع وزارة الأوقاف المصرية: www.islamic.council.com

٢٨- الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١٣٢

٢٩- تاريخ العلوم عند العرب، ٢٣٩

٣٠- أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، ص: ٦٠

٣١- تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٢٣٦

البصريات أصاب فيها، وقطب الدين الشيرازي (٧١١هـ) وكمال الدين الفارسي وغيرهم<sup>(٣٢)</sup>.

#### - الصوتيات:

علم الصوتيات علم يتعلق بدراسة خصائص الأصوات من حيث نشوئها وانتقالها<sup>(٣٣)</sup>.

بحث العلماء المسلمون في علم الصوت وفي منشئه وكيفية انتقاله، فكانوا أول من عرف أن الأصوات تنشأ عن حركة الأجسام المحدث لها، وأن انتقالها في الهواء على هيئة موجات تنتشر على شكل كروي<sup>(٣٤)</sup>.

والعرب أول من قسم الأصوات إلى أنواع عدة منها: المجهور والمهموس والمفخم وغير المفخم، وعللوا اختلاف الأصوات التي تحدثها الحيوانات ذوات الرئة باختلاف طول أعناقها، وسعة حلقيمها، وتركيب حناجرها<sup>(٣٥)</sup>. ولفخر الرازي ملاحظات بارعة صائبة في الصوت<sup>(٣٦)</sup>.

- الفيزياء الذرية: هو أحد فروع علم الفيزياء يدرس الإطار الداخلي للذرة<sup>(٣٧)</sup>. وقد عرف فلاسفة الإسلام "الذرة" و "المذهب الذري" الذي وضعه فلاسفة الإغريق، لكنهم استخدموا لذلك مصطلح "الجزء الذي لا يتجزأ" أو "الجوهر الفرد"، ودخل المصطلح في اللغة العربية حديثاً باسم "الذرة" وهي ترجمة غير دقيقة لكلمة "Atom"<sup>(٣٨)</sup>.

٣٢-تتقيح المناظر تقلا عن تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٢٣١ - ٢٣٦

٣٣-معجم وورد ويب [www.worldwebonline.com](http://www.worldwebonline.com)

٣٤-المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم الحمد ص: ١١، وماذا قدم المسلمون للعالم، ج ١، ص: ٢٦٢

٣٥-قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٨١

٣٦-تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٢٤٠

٣٧-[www.worldwebonline.com](http://www.worldwebonline.com)

٣٨-أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، ص: ٦٧

## (د) علوم الكيمياء

الكيمياء لفظة معربة من اللفظ العبراني، وأصله: "كيم به" معناه: أنه من الله وهو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها، وإفادتها خواص لم تكن لها<sup>(٣٩)</sup>. وبدء ظهور علم الكيمياء يمثله ظهور خالد بن يزيد الذي تتلمذ على الراهب الرومي مريانوس، وتعلم منه صنعة الطب والكيمياء، والذي انتقلت منه الكيمياء من ظهور البدايات المترجمة عن اليونانية إلى طور الإنجازات العينية والاكتشافات البينة. أما جابر بن حيان فهو مؤسس هذا العلم بلا جدال واشتهر علماء المسلمين فيه، وألفوا كتباً كثيرة ترجم الكثير منها إلى اللاتينية، وظلت المرجع الأوفى للكيمياء زهاء ألف سنة<sup>(٤٠)</sup>.

ويرجع الفضل في أكثر الابتكارات والإضافات في هذا الباب إلى جابر بن حيان الذي قال عنه (برتيلو): "لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو طاليس في المنطق..."<sup>(٤١)</sup>.

فلم تكن الكيمياء قبل جابر علماً بالمعنى المعروف الآن، فقد ثبت جابر دعائم هذا العلم وهذب حواشيه، وبين أهمية إجراء التجارب، وأوصى بدقة الملاحظة فيها، حتى أنها سميت "صنعة جابر" نسبة إليه<sup>(٤٢)</sup>.

## (هـ) علوم الفلك

من أهم تعريفات علم الفلك ما قاله الفارابي: "هو علم يبحث فيه عن الأجرام السماوية وعن الأرض من ثلاثة وجوه: من حيث عددها، وبعدها عن الأرض، وحركاتها"<sup>(٤٣)</sup>.

٣٩- العلوم البحتة في العصور الإسلامية، ص: ٢٤٦

٤٠- ماذا قدم المسلمون للعالم، ج: ١، ص: ٣٠٦

٤١- المرجع السابق، ج: ١، ص: ٩٧

٤٢- قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١٣٢

٤٣- المرجع السابق، ص: ٩٩

ويقول ابن خلدون في المقدمة: "هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة"<sup>(٤٤)</sup>.

لقد احتاج المسلمون إلى دراسة علم الفلك؛ وذلك لتحديد أوقات الصلاة، ولتحديد القبلة، ولتحديد بدء الصوم والحج وغير ذلك.

وقد اطلع المسلمون في بداية تطويرهم لعلم الفلك على ما خلفه علماء الحضارات السابقة فيه، ومن الكتب التي ترجموها إلى العربية كتاب "مفتاح النجوم" للعالم الإغريقي (هرمس)، وكتاب "السندهند" ل(سدهارثا الهندي)، في عهد الخليفة العباسي المنصور<sup>(٤٥)</sup>.

والعرب عندما تعمقوا في درس علم الفلك طهروه من أدران التجيم، والخزعبلات، وأرجعوه إلى ما تركه علماء اليونان علما رياضيا مبنيا على فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية<sup>(٤٦)</sup>.

وقد تمت على أيديهم إنجازات كثيرة واكتشافات عديدة في الفلكيات، فالعرب أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة، وقالوا باستدارة الأرض، وبدورانها على محورها وهم الذين ضبطوا أوج الشمس وتداخل أفلاكها في أفلاك أخرى<sup>(٤٧)</sup>. وكذلك هم أول من عللوا الكسوف والخسوف والمد والجزر<sup>(٤٨)</sup>.

وقد اشتهر من علماء الفلك المسلمين عدد غير قليل، منهم الفرغاني، ومنهم البتاني صاحب كتاب "الزيج الصابي"، ومنهم عبد الرحمن الصوفي صاحب كتاب "الكواكب الثابتة" وغيرهم كثير<sup>(٤٩)</sup>.

(يتبع)



٤٤-المقدمة، ص: ٩٠٥

٤٥-ماذا قدم المسلمون للعالم، ج: ١، ص: ٢٩٦ - ٢٩٧

٤٦-تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٦٨

٤٧-قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١٠٥ - ١٠٧

٤٨-نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، ص: ١٧٩

٤٩-ماذا قدم المسلمون للعالم، ج: ١، ص: ٣٠٠ - ٣٠١

## دراسة موضوعية حول علم الاستغراب

سراج الدين أين

الجامعة الإسلامية بشانتابورام، كيرلا

### المقدمة:

على الرغم من ظهور الاستشراق قبل قرون من الزمن فلا نزال نستتكر عند سماعه فضلا عن الاستغراب، فلا عجب في ذلك. فإن مصطلح الاستغراب لقد ظهر ليشير إلى مجموعة من أبناء الأمة العربية الإسلامية الذين تأثروا بالغرب في سلوكهم وأخلاقهم وأفكارهم، ولعل باكورة دراسة الغرب كانت فيما نقله رفعت الطهطاوي (صاحب كتاب الإبريز في تلخيص باريس) وخير الدين التونسي وغيرهما عن أوروبا، وكان من أبرز ما اهتم به الاثنان النظام السياسي الغربي القائم على الانتخاب والحريات السياسية وكانت تلك النظرة التي ظهرت في كتابات التونسي والطهطاوي في وقت كانت قوة الغرب في عنفوانها وكان العالم الإسلامي يقاسي من ويلات التخلف، ولا بد من ذكر كتاب رائد في هذا المجال، هو للدكتور زكي علي (هذه هي الشعوب البيضاء) ويقصد بها أوروبا التي عاش فيها ما يزيد على ستين سنة.

ولكن مصطلح الاستغراب جاء بعده مصطلح آخر هو التغريب، فأصبح يعرف هؤلاء بالمتغربين، نتيجة لظهور مصطلح التغريب. فقد تحول معنى مصطلح الاستغراب إلى محاولة معرفة الغرب من الداخل معرفة علمية موضوعية موثقة. فتجددت الدعوة لدراسة الغرب في منتصف القرن العشرين في أحد مؤتمرات المستشرقين الدولية نتيجة لهذه الدعوة، فقد أشار المستشرق رودى بارت (Rudi Paret) في كتابه المهم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية" (ص:١٥) إلى أهمية أن يتوجه العالم الإسلامي لدراسة الغرب أسوة بما يفعله الغرب في دراساته للعالم الإسلامي، ومن بعده نادى العديد من علماء الأمة إلى ضرورة دراسة الغرب. وقد تناول هذا الموضوع الدكتور

السيد محمد الشاهد في خطة علمية قدمها لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤١٤ هـ. ثم ظهر كتاب الدكتور حسن حنفي (مقدمة في علم الاستغراب) وهذا الكتاب مفيد جدا لدارسي الاستغراب من منظور موقفنا من الحضارة الغربية.

قبل الدخول إلى الموضوع فلا بد من ذكر الاستغراب لغة واصطلاحا لاستجلاء

أكثر لمدلول الاستغراب:

**فالاستغراب لغة:**

استغرب في الضحك وأغرب إذا أكثر منه، وفي الحديث أنه ضحك حتى استغرب، أي بالغ فيه، وقيل إن الاستغراب هو القهقهة. واستغرب الدمع أي سال. (ابن منظور في لسان العرب).

**اصطلاحا:**

هو العلم الذي يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحي العقدية والتشريعية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية ... الخ وهو لم يصبح بعد علما مستقلا ولكن من المتوقع في ضوء النهضة العلمية التي تشهدها البلاد العربية الإسلامية أن تقوم مراكز البحث العلمي ووزارات التعليم العالي في العالم الإسلامي بشحن الهمم وتسرع الخطى لإنشاء أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصصية في المجالات العقدية والفكرية والتاريخية والاقتصادية والسياسية (من محاضرة الدكتور عبد الله الشارف بكلية أصول الدين، تطوان المغرب).

ومن أجل استجلاء أكثر لمدلول الاستغراب لابد من استعراض المفاهيم القريبة منه مثل التغريب والاغتراب. فالتغريب (Westernization) عمل ثقافي وسياسي يتولاه المسؤولون في الغرب ومن الأهم من المستشرقين والمتغربين، يهدف إلى طمس معالم الحياة الدينية والثقافية للمجتمعات الإسلامية وغيرها، وإجبار هذه المجتمعات على تقليد الغرب والدوران في فلكه. وأما المقصود من مفهوم الاغتراب (Alienation) هو "أن المرء يصبح غريبا تجاه شيء معين أو شخص معين كأن يرتبط به على نحو وثيق،

والشخص المغترب سياسياً هو الشخص الذين له شعور دائم بالغربة عن المؤسسات السياسية القائمة وعن القيم السياسية الموجودة وعن القيادات التي تضطلع بأمر السلطة". (محمد أحمد إسماعيل علي في كتابه "الثقف العربي وفعاليته الاجتماعية").  
الفرق بين الاستغراب والاستشراق:

إذا كان المقصود بالاستغراب أن تقوم طائفة من أبناء الأمة الإسلامية بدراسة الغرب (أوروبا وأمريكا) فهو المقابل لما يسمى بالاستشراق. وقد نشأ علم الاستغراب (Occidentalism) في مواجهة التغريب (Westernization) الذي امتد أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم، بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة، ولكن علم الاستغراب ما زال ينحصر في كتابات بعض الباحثين المسلمين، فقد ذكر ذلك سمايلوفيش في كتابه فلسفة الاستشراق، ونشر حسن حنفي كتاباً ضخماً بعنوان (مقدمة في علم الاستغراب) بيد أن هذه الأفكار لم تتحول بعد إلى دراسات منهجية لها نفس القوة العلمية التي هي للدراسات الاستشراقية.

أما الاستشراق (Orientalism) فقد بدا في الغرب في أحضان الكنيسة وحسب إرشادات البابوات، ونشأ عدائياً يحاول تفسير النصراري من معرفة الإسلام معرفة صحيحة، ثم تشكيك المسلمين في دينهم الحق. وقد ظهر من الغربيين من كتب في هذا الجانب من الاستشراق، ومن هؤلاء ريتشارد سودرن في كتابه "صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى" وكتاب نورمان دانيال "الإسلام والغرب" ومما يثير الدهشة والعجب أن هؤلاء من المستشرقين يستمتعون في سماع المغالطات حول العالم الإسلامي أكثر من الحقائق على الرغم من إدراكهم أنها مغالطات . . . مثلاً في مجال الأدب يحتفلون بنجيب محفوظ ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس وأهداف سوييف وحنان الشيخ وإميل حبيبي ونوال السعداوي وعبد الرحمن منيف ومحمد شكري وغيرهم، ويهملون أو يتجاهلون كلياً أدباء من أمثال مصطفى صادق الرافعي وأحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني وغيرهم.

وأما الاستغراب فالمسلم ينطلق في دراسته من مسلمة ومن مناهج مختلفة. فهو صاحب دعوة ريبانية مكلف بنشرها في العالم لإنقاذ البشر من الضياع الذي يعيشه

والذي يعترف به العالم الغربي، ودراسات المسلمين للغرب سوف تلتزم الموضوعية الحقيقية وليست الموضوعية الزائفة أو المدعاة. والسبب في ذلك أن المسلم مأمور بالعدل والإنصاف (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . . . الآية). فنحن حين ندرسهم لا نبث عن أسوأ ما في المجتمعات الغربية لننشره، ولا نبث عن العيوب ونترك المزايا والإيجابيات. بل يكون تناولنا للجانبين معا، ففي جانب الإيجابيات نحاول الاستفادة من معطيات التقدم العلمي الغربي، وأما السلبيات فنحن نتناولها أولا من باب أن هذه الأمة هي أمة الشهادة على الأمم جميعا، وثانيا لإزالة الغشاوة عن عيون المنبهرين بالغرب. فالاستغراب يجب أن يكون درسا للعالم في دراسة الأمم الأخرى. وقد سبق المسلمون إلى هذا المجال عن طريق كتابات الرحالة المسلمين الذين زار بعضهم أوروبا وفي كتاب البطل المسلم أسامة بن منقذ. (الاعتبار)

أهمية دراسة الاستغراب في هذا العصر:

دراسة الغرب دراسة ميدانية لها أهمية بالغة في علم الاجتماع البشري عموما والإسلامي خصوصا. أهميتها تكمن في متابعة الواقع الغربي عن قرب وتحليل مستوياته ونقل الصورة الواقعية الحقيقية من الداخل إلى القارئ حتى يتبين له عالم الغرب الداخلي والتغيرات التي طرأت عليه والقيم التي تحكمه والواقع المعاش بتفاصيله كما هو بلا تشويه ولا تحريف ولا تزييف للحقائق ولا تخريب للوقائع.

ولما كانت الحضارة الغربية بشقيها الأوروبي والأمريكي هي السائدة اليوم فمن الواجب على المسلمين أن يعرفوها معرفة وثيقة وعلمية، فكما أن الغرب حينما بدأ نهضته العلمية والثقافية والفكرية توجه إلى دراسة العالم الإسلامي واستفاد من معطيات الحضارة الإسلامية ابتداء من التفكير العلمي والمنهج العلمي إلى مختلف معطيات الحضارة الإسلامية. فإن من الواجب على المسلمين أن ينطلقوا لدراسة الغرب من جميع جوانبه.

أهداف الدراسات الأوروبية والأمريكية:

أولا: التعرف على أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من النواحي العقديّة والثقافية والاجتماعية والجغرافية والاقتصادية عملا بقوله تعالى (لتعارفوا).



ثانيا: معرفة جذور النهضة الأوروبية والأمريكية في المجالات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية والثقافية والحضارية لتفيد الأمة الإسلامية من معطيات هذه النهضة، فتأخذ بالجوانب الإيجابية وتتجنب الجوانب السلبية.

ثالثا: الاستفادة من التجربة الأوروبية والأمريكية في الانفتاح الاجتماعي والنقد الذاتي والمراجعة والمحاسبة.

رابعا: توفير الكوادر المتخصصة في الدراسات الأوروبية والأمريكية لتلبية متطلبات سوق العمل في مختلف المجالات مثل وزارة الخارجية، ووزارة الثقافة والإعلام، وفي مجال الاقتصاد والشركات وكذلك في مجال وزارة الشؤون الإسلامية وفي مجالات أخرى كثيرة.

خامسا: الانتقال من أمة موضع الدرس إلى أمة تدرس الآخر وتحرص على فهمه فهما عميقا.

سادسا: فهم العقلية الغربية بشقيها الأوروبي والأمريكي فهما عميقا يمكننا من تبليغ رسالة الإسلام بصفته الرسالة الخاتمة إلى البشرية جمعاء.

**شبكة الدراسات الأمريكية في أوروبا (American Studies Network) :**

تتكون شبكة الدراسات الأمريكية (ASN) من مجموعة من المراكز الأوروبية المشتغلة بالدراسات الأمريكية. وقد ظهرت فكرة شبكة المراكز خلال اجتماع الرابطة الأوروبية في لندن في شهر أبريل ١٩٩٩م، وقد تأسست الشبكة في نوفمبر عام ١٩٩٠م في برلين في اجتماع للمهتمين من مدراء مراكز الدراسات الأمريكية. وتكونت المجموعة مبدئيا من ثمانية أعضاء، ثم ازداد عدد الأعضاء إلى سبع عشرة مؤسسة من كل أنحاء أوروبا.

ويستخدم الأعضاء جميعا منهج الدراسات المتعددة المجالات في الدراسات الأمريكية، وهي منظمات مستقلة ولديها مصادر تمويل خاصة، وليست مرتبطة حصريا بالجامعات، ولديها بعض المرافق البحثية وملتزمة بدور مهم في الخدمة العامة للمجتمع، وتتعاون شبكة الدراسات الأمريكية مع الرابطة الأوروبية للدراسات

الأمريكية، وتهدف هذه الشبكة لتشجيع دراسة الولايات المتحدة بالتعاون الوثيق مع المؤسسات المختلفة المهتمة بدراسة المناطق. وقد وجدت الشبكة لتقديم دعم متبادل لكل المراكز المهتمة وتسهيل تدفق المعلومات حول المصادر بين الأعضاء والمجتمع، وتأسيس مشروعات مشتركة تساعد على زيادة التعاون والإنتاجية، وبالتالي دعم الدراسات الأوروبية لأمريكا. والشبكة مستعدة للعمل بصفتها مجموعة استشارية لتشجيع تطوير الدراسات الأمريكية وبخاصة في أوروبا الشرقية والوسطى.

ويعد توفير المعلومات حول المصادر والبيانات أحد أهم نشاطات الشبكة مثل توفير فرص للأساتذة الزائرين للمحاضرة في المعاهد المختلفة، وتأمل الشبكة من خلال وسائل الاتصال المختلفة أن توفر لأعضائها مصادر الكتب لكل مركز وتأسيس برنامج الإعارة التبادلي. وهدف آخر تسعى الشبكة لتحقيقه هو تبادل الباحثين والطلاب للمراكز المختلفة. ومن أهم مشروعات الشبكة تأسيس جائزة للكتاب، وهي جائزة قيمتها ألف يورو للكتاب المتميز المنشور باللغة الإنجليزية من أي باحث أوروبي حول أي جانب من جوانب الدراسات الأمريكية، وسوف تؤلف لجنة المحكمين للجائزة التي ستقدم كل سنتين في مؤتمر الرابطة الأوروبية للدراسات الأمريكية من ممثلين من كل من الرابطة الأوروبية للدراسات الأمريكية وشبكة الدراسات الأمريكية. وسوف يعلن الموعد النهائي لتقديم الكتب المرشحة للجائزة في نشرة الرابطة الأوروبية للدراسات الأمريكية في السنة التي تسبق انعقاد المؤتمر.

#### محاولات معاصرة لدراسة الغرب في العالم الإسلامي:

- مشروع الدكتور السيد محمد الشاهد المقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- كتاب الدكتور حسن حنفي (مقدمة في علم الاستغراب).
- كتاب مازن صلاح مطبقاني (الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية)
- مشروع مركز دراسات الولايات المتحدة بأصيلة في المغرب (ما زال تحت التنفيذ)
- المركز العربي للدراسات الغربية بالقاهرة لأحمد الشيخ.



## الجانب الأدبي في التوقيعات العربية

رفيع أحمد

جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

يتمتع الأدب العربي بتنوع الأساليب البيانية، وألوان الكتابة الرفيعة، والتوقيعات في الحقيقة قطع أدبية منثورة في أذيال وحواشي الرسائل والدواوين ولكنها أصبحت مجهولة وتغافل عنها الأدباء والكتاب ولم يهتموا لها اهتماماً يتناسب مكانتها. وبعد دراسة تاريخ الأدب العربي في عصوره المختلفة وصلت إلى نتيجة أن الأدباء إلا القليل منهم لم يعدوها صنفاً أدبياً، ولكن وجدت نفسي مقنعة خلال دراستي لها بكونها فناً أدبياً مهماً، تتصف بالأوصاف الأدبية وتتسم بالسمات اللازمة للأدب، وفي هذه المحاولة المتواضعة سأوضح مكانة التوقيعات وأهميتها مع الحديث عن نشأتها وتطورها وإيراد بعض الأمثلة حتى يتبين أنها فن أدبي تعد من الفنون الأدبية النثرية، كالخطابة، والكتابة، والرسائل، والوصايا، والمقامات.

والتوقيع يطلق في اللغة على سقوط شيء، يُقال: وَقَعَ الشيءُ وَقُوعًا فهو واقعٌ، والواقعة: القيامة لأنها تقع بالخلق فتغشاهم، والوقعة: صدمة الحرب. والوقائع: مناقع الماء المتفرقة، كأن الماء وقع فيها، ومواقع الغيث: مساقطه، والنسرالواقع، من وقع الطائر، يراد أنه قد ضم جناحيه فكأنه واقع بالأرض، وموقعة الطائر: موضعه الذي يقع عليه، وكويت البعيروقاع: دائرة واحدة يكوى بها بعض جلده أين كان، فكأنها وقعت به، ووقع فلانٌ في فلانٍ وأوقع به.<sup>(١)</sup>

أما التوقيع فهو مصدر (وقع يوقع توقيعاً) والجمع: تواقيع، وقد كثر المعاني التي أوردتها المعاجم لهذه المادة (التوقيع).

<sup>(١)</sup> ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٣٤/٦.

قد ذكر الخليل بن أحمد من معاني (التوقيع): التوقيع في الكتاب، وحدده بإلحاق شيء فيه <sup>(١)</sup>، وهكذا قال الجوهري والفيروزآبادي حيث أضافا ما أضاف الخليل بن أحمد، غير أنهما قالوا: "والتوقيع ما يُوقَع في الكتاب، يقال: "سرور توقيع جائز." <sup>(٢)</sup> ويظهر من هذا الربط أن الجوهري يشير إلى العلاقة بين الموقَّع والتوقيع، حيث من أصابته البلى هو الذي يرسل شكايته وظلامته لولي الأمر ليحصل على توقيعه عليها.

ويظهر (المعجم الوسيط) هذا المعنى وجاء فيه: "وقَّع في الكتاب: أجمل بين تضاعيف سطره مقاصد الحاجة وحذف الفضول، والتوقيع ما يعلقه الرئيس على كتاب أو طلب برأيه فيه" <sup>(٣)</sup> وتوالى دلالات التوقيع إلى عدة معاني لغوية تتشكل دلالاته الاصطلاحية من جملة هذه المعاني اللغوية، ومنها:

التوقيع: أثر الرجل على ظهر البعير، يقال: بعير موقَّع. <sup>(٤)</sup>  
والتوقيع: الدبر، وإذا كثريا لبعير الدبر، قيل: إنه لموقع الظهر، وأنشد ابن الأعرابي:

مثل الحمار الموقَّع الظهر لا يحسن مشيا إلا إذا ضربا <sup>(٥)</sup>

والتوقيع: إقبال الصيقل على السيف يحده بميقته، وربما وقع بحجر، والميقع والميقعة كلاهما: المطرقة. <sup>(٦)</sup>

نخلص من حديث المعاجم عن (التوقيع) ودلالاته الحسية والمعنوية إلى أن التوقيعات قد أخذت دلالاتها الاصطلاحية من جملة المعاني اللغوية السابقة والتي تعود في مجملها إلى السقوط، والتأثير، والوقوع، والعلامة، والإيقاع، فالموقَّع (كاتب التوقيع) يسقط خلاصة ذهنه في توقيعه، ويوقعه على الكتاب أو الرسالة، وفي هذا المعنى هو يؤثر في الكتاب أو الرسالة لفظا ومعنى.

<sup>(١)</sup> الخليل (العين) ص: ٢٨٦

<sup>(٢)</sup> الجوهري، الصحاح، ١٣٠٣/٢، الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ١٢٧/٣، ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٩٦/٦، (مادة "وقع")

<sup>(٣)</sup> المعجم الوسيط، ص: ١٠٥٠

<sup>(٤)</sup> الخليل بن أحمد، كتاب العين، ص: ٢٨٦، المعجم الوسيط، ص: ١٠٥٠

<sup>(٥)</sup> القاموس المحيط: ١٢٧/٣، ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٩٧/٦، (مادة "وقع")

<sup>(٦)</sup> ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٩٧/٦، (مادة "وقع")

والتوقيعات الأدبية غير التوقيع المعروف الآن بـ(الإمضاء) وأقرب ما يطلق عليه في لغة الإدارة الحكومية: التوجيه أو الشرح على المعاملات والرسائل الواردة، عندما يرفع الأمر أو الطلب إلى صاحب القرار، ويعلق عليه بما يناسب الإجراءات والشروحات. قد حدد كثير من العلماء معنى التوقيع الاصطلاحي، يقول ابن خلدون: "ومن خطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله، ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها، والفصل فيها، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه، فإما أن تصدر كذلك وإما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة، ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه".<sup>(١)</sup>

وقد عرفها الناقد والأديب السوري حنا الفاخوري قائلاً بأن: "التوقيعات عبارات موجزة كان يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمالها في أسفل الشكاوي والمظالم، أو المطالب والحاجات التي كانت ترفع إليهم بما يتضمن الرأي فيها، كأن يكتب إلى وزير في غرض ما، فيكتب الرئيس عنه بما يفيد وجوب الفحص أو قضاء المأرب".<sup>(٢)</sup>

**نشأة التوقيعات وتاريخها الموجز:**

التوقيعات عرفت في الأدب العربي في عهد أبي بكر الصديق، والسبب في ذلك شيوع الكتابة وازدهارها بعد أن أقبل المسلمون على تعلمها ونشرها، ويضاف إلى ذلك استخدام الكتابة في تحبير الرسائل وتبليغ أوامر الخليفة وتوجيهاته إلى الولاة والقواد في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، وفي هذا العهد اكتسب مصطلح التوقيع معنا أدبيا وإداريا.

وفي العصر الأموي أصبحت التوقيعات امتدادا طبيعيا لها في عصر صدر الإسلام بعد أن عرفت واستخدمت كثيرا، حيث اعتاد كل خليفة أموي أن يوقع على الرسائل التي ترد إليه بعد أن يطلع عليها ويعرف مضمونها<sup>(٣)</sup>، واتصلت هذه الدلالة إلى

(١) ابن خلدون، مقدمته، ص: ٦٨١

(٢) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص: ٣٧١

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١٤٥/١، وابن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب،

العصر العباسي، فأصبحت تطلق على تلك الأقوال البليغة الموجزة المعبرة التي يكتبها المسؤول في الدولة أو يأمر بكتابتها على ما يرفع إليه من قضايا أو شكايات متضمنة ما ينبغي اتخاذه من إجراء نحو قضية أو مشكلة.

ثم أضيف إلى التوقيعات دلالة جديدة مع بقاء دلالتها الأدبية السائدة في العصر العباسي، حيث أصبحت تطلق على الأوامر والمراسيم التي يصدرها السلطان أو الملك لتعيين وال أو أمير أو وزير أو قاض أو معلم، وامتازت مثل هذه التوقيعات بطولها والإسهاب في ذكر الحثيات والأسباب المسوغة للتعيين حتى تجاوز بعضها أربع صفحات، ولكن التوقيعات بهذا المفهوم لا تعد توقيعات أدبية بل تعد من باب الكتابة الديوانية والوثائق التاريخية.

ثم تحول معنى التوقيعات إلى علامة اسم السلطان خاصة التي تذيل بها الأوامر والمراسيم والصكوك كالإمضاء عندنا.<sup>(١)</sup> ثم اقتصر معناها على تأشير الاسم وهي كتابة بتلك الهيئة الخاصة التي تقابل في الإنجليزية لفظة Recommendation/Signature .

ولعل أقدم التوقيعات التي أثرت في تاريخ الأدب العربي يعود إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق، فقد بعث إليه خالد بن الوليد خطاباً من دومة الجندل، يطلب أمره في أمر العدو، فوقع إليه أبوبكر: "ادن من الموت تُوهب لك الحياة"<sup>(٢)</sup>، كما عرفت التوقيعات في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب إبان فتوحاته الإسلامية نظراً لضرورة هذا الفن وملائمته لظروف المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت مع شيوع الكتابة آنذاك، ثم توالى استخدام التوقيعات في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وامتد هذا الشيع بصورة أوسع في عصر بني أمية.

وفي الواقع أن التوقيعات الأدبية لم يكتب لها حظ من الذيع والانتشار إلا في العصر العباسي، لأن الكتابة الفنية قد شاعت أكثر وتعددت أغراضها، ففي هذا العصر الذهبي ازدهرت التوقيعات وأنشئ لها ديوان خاص سمي بديوان التوقيعات، وفي بداية الأمر كان الخليفة يعلق التوقيع على الرسائل، وعند ما كثرت أعباء الخلافة

(١) المعجم الوسيط، ص: ١٠٥٠

(٢) الثعالبي: خاص الخاص، ص: ٦٧

أنشئ لها ديوان خاص، ويعين فيه كبار الكتاب والأدباء البارعين، والتوقيعات أكثر ما تكون اقتباساً من آية قرآنية أو مثلاً سائراً أو حكمة أو شعراً معروفاً أو قولاً بليغاً حسب الظروف والعوامل، وبذلك يمكن أن نقول أن التوقيع أقسام:

### ١. التوقيع بأي من القرآن الكريم:

هناك أمثلة كثيرة للتوقيعات التي تشتمل على آية قرآنية أو جزء منها، فقد وقع الخليفة الثالث عثمان بن عفان في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم<sup>(١)</sup> وذكروا أنه أمر بوجع أعناقهم: "فإن عصوك فقل إنني برىء مما تعملون".<sup>(٢)</sup>

وكذلك وقع هشام بن عبد الملك على كتاب عامله، وقد أخبره فيه بقلة الأمطار في بلده: "مرهم بالإستغفار"<sup>(٣)</sup> فهذا التوقيع يركز على معنى ما جاء في القرآن الكريم على لسان نبي الله نوح عليه السلام يخاطب قومه: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا"<sup>(٤)</sup>، وكذلك وقع أبو جعفر المنصور أيضاً إلى صارورة (من لم يتزوج) وقد سأله أن يحج: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"<sup>(٥)</sup>، وكتب ملك

<sup>(١)</sup> هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته أبو عبد الملك (٦٥هـ - ٦٥هـ) خليفة أموي، وهو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب "بنومروان" ودولتهم "المروانية". ولد بمكة ونشأ بالطائف وسكن المدينة، فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذته كاتباً له، ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه، وقاتل مروان في وقعة "الجمل" قتالاً شديداً، وشهد "صفين" مع معاوية، ثم آمنه علي فأتاه فبايعه. وانصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فولاه المدينة وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام، ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام وكان فيهم مروان، ثم عاد إلى المدينة وحدث فتنة كان من أنصارها، وانتقل إلى الشام وتوفي فيها بالطاعون، ومدة حكمه تسعة أشهر و١٨ يوماً، وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها "قل هو الله أحد". (الأعلام ٢٠٧/٧، الإصابة في تمييز الصحابة ١٠/٣٨٨ (٨٣٥٥)، طبقات ابن سعد ٣٥/٥، سير أعلام النبلاء ٤٧٦/٣)

<sup>(٢)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/٢٨٧، والآية من سورة الشعراء: ٢١٦

<sup>(٣)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/٢٩٣

<sup>(٤)</sup> سورة نوح: ١٠ - ١٢

<sup>(٥)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/٢٩٤، والآية من سورة آل عمران: ٩٧

الروم إلى هارون الرشيد يتهدده قائلاً: "إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي، وكل بطل في جندي"، فوقع في كتابه: "وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ".<sup>(١)</sup>

٢. التوقيع بالأحاديث النبوية:

ارتكزت بعض التوقيعات على الأحاديث النبوية الشريفة إما اقتباساً أو تضميناً. من ذلك ما كتب إبراهيم بن المهدي إلى المأمون في كلام له: "إن غفرتَ فبفضلك، وإن أخذتَ فبحقك"، فوقع في كتابه: "القدرَةُ تُذهب الحَفِيظَةَ، والنَّدَمُ جزء من التوبة، وبينهما عفو الله".<sup>(٢)</sup> فهذا التوقيع يتضمن معنى حديث، فقد روي عن ابن معقل قال: دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود، فسمعتة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الندم توبة"، فقال له أبي: أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الندم توبة"؟ قال: نعم.<sup>(٣)</sup>

وهكذا وقع جعفر بن يحيى البرمكي في قصة رجل شكك عزوبة: "الصوم لك وجاء"<sup>(٤)</sup>، وجه جعفر بن يحيى الشاكي بهذا التوقيع إلى الصوم لأنه يقطع الشهوة، وكذا أنه يريد الإشارة إلى الحديث المتفق عليه الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"<sup>(٥)</sup>.

ووقع الفضل بن سهل السرخسي في قصة متظلم: "كفى بالله للمظلوم ناصراً"، وأيضاً وقع مرة أخرى في قصة متظلم: "طب نفساً، فإن الله مع المظلوم".<sup>(٦)</sup> ويتضمن هذان التوقيعان معنى حديث، فقد روى ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال: "أتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب".<sup>(٧)</sup>

<sup>(١)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٧/٤، والآية من سورة الرعد: ٤٢

<sup>(٢)</sup> أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٧٩/٤

<sup>(٣)</sup> هذا الحديث إسناده صحيح، رواه ابن ماجه، كتاب الزهد (٤٢٥٢)، وأحمد في "مسنده" (٣٥٦٨)، (٤٠١٢)، والطبراني في "الكبير" (٣٤٢٩)، وأخرجه الحاكم في "المستدرک" (٧٦١٤) وقال: "صحيح على شرط الشيخين".

<sup>(٤)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٣٠٢/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٨٥/٤

<sup>(٥)</sup> الجامع الصحيح للبخاري مع فتح الباري ١١٩/٤ (١٩٠٥)، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب التحريض على النكاح، الحديث: (٢٠٤٦)

<sup>(٦)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٣٠٣/٤

<sup>(٧)</sup> الجامع الصحيح للبخاري، كتاب الزكاة (١٤٩٦)، والجامع الصحيح لمسلم، كتاب الإيمان (١٩)



## ٣. التوقيع بالأشعار:

هناك كثير من التوقيعات التي تعددت فيها مواضع توظيف الشعر على نحو يكشف عن ثراء ذاكرة الخلفاء والأمراء بمخزون شعري لفحول الشعراء. ومن ذلك ما كتب به قتيبة بن مسلم إلى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك يتهدده بالخلع، فوقع سليمان في كتابه:

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعاً أبشّر بطول سلامة يا مريع<sup>(١)</sup>  
 واشتهر في هذا الفن (التوقيع بالأشعار) صاحب بن عباد<sup>(٢)</sup> وأجاد فيه شعرا  
 ونثرا كذلك، حتى ذاعت توقيعاته وانتشرت في العالم الإسلامي، ومن لطيف ما ذكر  
 من توقيعاته أن صاحب بن عباد كتب على رقعة وجهها إلى قاضي قم:  
 أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم

فكان القاضي يقول إذا سئل عن سبب عزله: "أنا معزول السجع من غير جرم ولا سبب".<sup>(٣)</sup>

## ٤. التوقيع بالأمثال والحكم:

هناك عديد من التوقيعات للخلفاء العباسيين تشتمل على الحكمة والمثل السائر المأثور من العرب، من ذلك ما وقع به معاوية بن أبي سفيان في كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقْطِعَهُ مالا بالطائف: "عِشْ رَجَبًا تَرَعْجَبًا".<sup>(٤)</sup>  
 وكذا وقع هارون الرشيد إلى عامل خراسان: "إن الملوك يُؤثرعنهم الحزم"<sup>(٥)</sup>،  
 ووقع أيضاً إلى عبد الحميد صاحب خراسان: "شكوت فأشكيناك، وعتبتَ

<sup>(١)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٠/٤، وهذا شعر جرير بن عطية في قصيدة سماها "بئس الفوارس مجاشع"، انظر ديوانه، ص: ٢٧٢

<sup>(٢)</sup> هو إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني (٣٢٦هـ - ٢٨٥هـ)، وزير غلب عليه الأدب فكان من نواذر الدهر علما وفضلا وتدييرا وجودة رأي، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك، ولد في الطالقان وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها، له تصانيف جليلة منها: "المحيط" و"كتاب الوزراء" و"الكشف عن مساوئ شعر المتنبى"، وتواقيعه آية الإبداع في الإنشاء. (الأعلام ٣١٦/١، سير أعلام النبلاء ١٠٦/١)

<sup>(٣)</sup> ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٥١/٤

<sup>(٤)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٨٨/٤

<sup>(٥)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٦/٤، وفي "جمهرة رسائل العرب" ٣٧٥/٤ هكذا "إن الملوك يُؤثرُ منها الحظُّ".

فأعتبناك، ثم خرجت عن العامة، فتأهب لفرار السلامة".<sup>(١)</sup> وكذلك وقع في قصة محبوس: "من لجأ إلى الله نجا".

إن بعض التوقيعات في العصر العباسي لا تزيد عن كلمتين، كتوقيع الفضل بن سهل السرخسي إلى حاجبه: "تمهل وتسهل"<sup>(٢)</sup>، وإلى صاحب الشرطة: "ترفق توفق"<sup>(٣)</sup>. ومنه توقيع جعفر بن يحيى في قصة قوم شكوا سوء جوار بعض القرابة: "يرحل عنكم"<sup>(٤)</sup>.

وربما كانت التوقيعات بثلاث كلمات فقط، منها ما وقع به جعفر بن يحيى في قصة متصح: "بعض الصدق قبيح"<sup>(٥)</sup>.

وقد يكون التوقيع بأربعة جمل كتوقيع الحسن بن سهل في قصة قوم تظلموا من واليهم: "الحق أولى بنا، والعدل بُغيتنا، وإن صح ما ادَّعيتم عليه، صرفناه وعاقبناه"<sup>(٦)</sup>، ومنه توقيع جعفر بن يحيى في رجل شكوا بعض عماله: "قد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما عدلت وإما اعتزلت"<sup>(٧)</sup>.

قد برز كثير من التوقيعات يطبع عليها سمة البيان والبديع، فقد وقع هارون الرشيد في حادثة البرامكة: "أنبتته الطاعة، وحصدته المعصية"<sup>(٨)</sup>. وكذلك وقع أبو العباس السفاح في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: "من صبر في الشدة، شارك في النعمة"<sup>(٩)</sup>، ومنه ما وقع به أبو جعفر المنصور إلى عامل مصر حين كتب يذكر نقصان النيل: "طهر عسكرك من الفساد، يُعطك النيل القيادة"<sup>(١٠)</sup>.

<sup>(١)</sup> أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٦٨/٤

<sup>(٢)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٣٠٣/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٨٨/٤

<sup>(٣)</sup> المصدران السابقان

<sup>(٤)</sup> أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٨٥/٤

<sup>(٥)</sup> أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٨٤/٤

<sup>(٦)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٣٠٤/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٨٩/٤

<sup>(٧)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٣٠٢/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٨٤/٤

<sup>(٨)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٦/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٧٤/٤

<sup>(٩)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٣/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٦٧/٤

<sup>(١٠)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٥/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٣٧٠/٤

وكذا ما وقع به هارون الرشيد إلى صاحب السند إذ ظهرت العصبية: "كل من دعا إلى الجاهلية تعجل إلى المنية"<sup>(١)</sup>.

هذه هي بعض النماذج من التوقيعات الأدبية الجميلة التي أثرت الأدب العربي بطائفة من التعبيرات الأدبية الراقية، ولكن الرسائل الديوانية أو ديوان الإنشاء قد انخفضت أو اختفت في العصر الحديث مع دخول المطبعة وظهور الصحافة في الوطن العربي، ثم الإذاعة والتلفاز، وتغيرت أساليب الكتابة تدريجياً من الكتابة البديعية المسجوعة إلى الكتابة الصحفية والأدبية، وحلت محله أشكال وصور أخرى بفعل تطور الزمان، فلم تُعد التوقيعات بالإيجاز والبلاغة اللتين عرفناهما في هذا البحث. وإنما صارت لها رسوم معينة في العصر الحديث وظهرت صور جديدة وأشكال عديدة لهذا الفن.

هذه التوقيعات كلها سواء من الخلفاء أو الوزراء والأمراء تكمن في طياتها صور الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية من العصر العباسي، لأن هذا العصر - وإن كان مليئاً بالأحداث والاضطرابات الطائفية - يقوم على أساس ديني، وكان القرآن هو مرجع الهداية والرشد. وربما كان الخلفاء والوزراء يرشدون عمالهم ورعيتهم بهدي القرآن الكريم، وهم كانوا يحفظونه في صدورهم.

قد رأينا أن التوقيعات تعتمد على الإيجاز وبلاغة التعبير وفصاحة اللسان ومنها ما هي مقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي أو المثل السائر، وكانت هذه التوقيعات تذيع ويتناقلها الناس، كأنها مبادئ أخلاقية وقيم عليا لأجل معانيها. وكذلك نجد أن الجمل في التوقيعات تختلف وتتنوع في طريقة الأداء، مثلاً: "شكوت فأشكيناك . . . . . وعتبت فأعتبناك" و "أنبتتهم الطاعة وحصدتهم المعصية" و "كثر شاكوك وقل شاكروك".

وأخيراً أوضح أن فن التوقيع يعد فناً أدبياً نثرياً من سائر الفنون الأدبية مثل المقامة والقصة والخطابة، والرسائل والوصايا ولكن ظهرت ملامحه وسماته في العصر العباسي وبلغ إلى الذروة المنشودة، ومن الأسف الشديد أن التوقيعات - على الرغم من كونها - صنفاً مهماً للآداب العربية لم تحظ بعناية الأدباء والكتاب كما كانت تليق بها، ولذا لا نجد إلا قليلاً من الآثار الأدبية والكتب والبحوث حول هذا الفن. ❖❖

<sup>(١)</sup> ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٩٧/٤، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب ٢٧٥/٤

## الاختبارات السنوية بالجامعة السلفية

بدأت الاختبارات السنوية لمختلف المراحل والأقسام بالجامعة السلفية يوم الثلاثاء: ١٤٣٨/٨/٥ هـ = ٢٠١٧/٥/٢ م، واستمرت إلى يوم الأحد: ١٤٣٨/٨/١٧ هـ = ٢٠١٧/٥/١٤ م، وانعقدت هذه الاختبارات في ست قاعات: مسجد الجامعة، الدور الأرضي للمسجد، الدور الثاني للمسجد، قاعة المحاضرات، قاعة دار الحديث، الفصول الدراسية للكليات والثانوية. وقد شارك في هذا الاختبار إلى جانب طلاب الجامعة من المراحل المختلفة طلاب السنة الثانية للثانوية وطلاب مرحلة العالمية من المدارس التابعة للجامعة من مختلف مناطق وولايات الهند. ونظرا لتزامن اختبارات الجامعة مع اختبارات الهيئة الحكومية للمدارس انعقدت اختبارات الجامعة بعد صلاة المغرب من الساعة السابعة إلى الساعة العاشرة.

وقد شكلت هيئة الاختبار بالجامعة ست لجان من المدرسين والإداريين لمراقبة الاختبارات في القاعات الست، وهذه اللجان قامت بعمل المراقبة دوريا في هذه القاعات. وقد تم منح المدرسين مدة أسبوع لإكمال تصحيح أوراق الاختبار وإعداد النتائج بعد نهاية سلسلة الاختبارات. علما بأن نتائج الاختبارات يتم نشرها عبر موقع الجامعة على الإنترنت.

وأعلنت إدارة الجامعة أن الإجازة السنوية التي تشمل إجازة رمضان وعيد الفطر تبدأ من يوم الثلاثاء: ٢٦/شعبان ١٤٣٨ هـ = ٢٣/مايو ٢٠١٧ م، وتستمر إلى يوم الثلاثاء: ٨/شوال ١٤٣٨ هـ = ٤/يوليو ٢٠١٧ م بإذن الله تعالى.

